ديوان

محمد الفيتوري

المجلد الثاني

دار العودة . بيروت



ديوان

محمد الفيتوري

ديوان

محمد الفيتوري

دار العودة . بيروت

دار العودة

بيروت – كورنيش المزرعة

عمارة الريفيرا سنتر

١٩٧٩

محمد الفيتوري

بقلم الدكتور منيف موسى

— ١ —

سيرته :

« ... إنك ستعيش متغرباً عن وطنك وانت سعيد الحظ ، وسيكون لك اعداء كثر ولكنهم لن يستطيعوا أن ينالوا منك ... ان نجمك ينتشر ولست ادري ما ستكون في المستقبل . احاكم [١] ام رجل دين [٢] ام شيء آخر » . [٣]

بهذا الكلام حدث الوالد ابنه ثلاث مرات ، خلال ثلاثين سنة ، وكان قد قرأ طالعه في كفه : المرة الأولى ، عندما كان الابن في الحادية عشرة من عمره ، والمرة الثانية عندما كان في

---

(١) كذا في الأصل . والصواب (حاكما) .

(٢) كذا في الأصل . والصواب (شيئاً) .

(٣) راجع البقيلي (فاروق) « الفيتوري آدم المطرود من الجنة » « مجلة الديار » ١٩٧٤ . العدد ٦٧ ، آب ، ص ٥٦ .

السابعة عشرة، والمرة الثالثة قبل وفاة الوالد[١] بشهر واحد[٢].

ومحمد الفيتوري عرف الهجرة والغربة منذ طفولته، وصار شاعراً كبيراً وشريداً طريداً لا يهدأ ولا يستقر، شاعراً يعيش متجزلا على أرصفة الوطن العربي، تستقبله عاصمة. عربية وتحتضنه، وتجلده عاصمة عربية أخرى وتطارده فكأن نبوءة والده الشيخ الورع، والصوفي الطيب قد تحققت[٣].

فمن هو محمد الفيتوري، هذا الشاعر الذي غنى كثيراً، وعانى كثيراً، وأحب كثيراً، ؟ومن يكون هذا الرجل الأسمر الذي واجه التشرد والغربة والمحن بقلب كبير ؟.

ولد محمد الفيتوري، في بلدة (الجنينة) — عاصمة دار مساليت[٤]، الواقعة على حدود السودان الغربية.

---

(١) توفي والد الفيتوري في ٢٦ شباط ١٩٦٩.

(٢) راجع : المرجع السابق نفسه ص ٥٦.

(٣) راجع : البقيلي (فاروق) : «هكذا غادر الفيتوري لبنان»، مجلة «الديار» ١٩٧٤ العدد ٦١، حزيران، ص ٥٥.

(٤) من حديث شافهني به الشاعر نفسه، واذن بنشره، وعن المساليت راجع : شقير (نعوم) : «جغرافية وتاريخ السودان» دار الثقافة، بيروت ١٩٦٧، ص ٥٨.

والمساليت من القبائل السودانية الكبيرة وتشتهر بالفروسية. والطريف في الأمر، أن شاعرنا يجهل تاريخ ميلاده [1].

والده، الشيخ مفتاح رجب الشيخي الفيتوري، وكان خليفة خلفاء الطريقة العروسية الشاذلية الأسمرية، أو الطريقة الأسمرية [2]، وهو من فرع اولاد الشيخ من الغواتير احدى

---

(١) لقد أجمع الباحثون على أن تاريخ ولادة الفيتوري هو سنة ١٩٣٠، لكن الشاعر لا يعرف تاريخ ميلاده بالضبط، إذ لم يكن في قبيلة المساليت سجل تدون فيه الولادات، ومما هو معروف عن القبائل شبه البدائية وقبائل العرب الرحل، انها لا تهتم كثيراً بتسجيل تواريخ ولادة أبنائهما في السجلات الرسمية نتيجة لظروفها الاجتماعية الخاصة. وقد أحدث ذلك للشاعر اشكالا عندما أراد أن يدخل إلى المعهد الديني. فذهب به والده إلى طبيب شرعي ليختار له سناً تناسبه فاختار الطبيب للولد سناً تسمح له بدخول المعهد، وكان آنذاك في سن أقل من السن القانونية للقبول (من حديث مع الشاعر اذن بنشره). وصرحت السيدة «آسيا» زوج الشاعر السابقة ان ميلاد الفيتوري كان سنة ١٩٢٩، كما أخبرها بذلك حموها الشيخ مفتاح رجب الفيتوري والد شاعرنا.

(٢) نسبة إلى سيدي عبد السلام الأسمر (٨٨٠ هـ - ٩٨١ م) راجع كتاب: المصراتي (العليب بن طاهر، ابو علي): «فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر» الطبعة الأولى، دار الكشاف، بيروت، القاهرة، بغداد، ١٩٦٩، ص ١٨ و ٥٦.
وعن الطريقة الأسمرية، راجع المرجع نفسه، ص ٤٣ وما بعدها.

قبائل البدو الليبية والمعروفة بالتقوى والصلاح ، والغواتير من الدراويش ومشهورون بالكرامات والمعجزات ، والليبيون يخافونهم وفيهم يقولون : الغواتير لا تديروا ما يديروا ، ولا تنهاهم عما يديروا (باللهجة الليبية) أي :

الغواتير لا تفعل مثل ما يفعلون ، ولا تنههم عما يفعلون[1].

أما والدته ، فهي الحاجة (عزيزة علي سعيد) ، من أسرة شريفة ، من قبيلة « الجهمة » [2] العربية الحجازية . التي هاجرت إلى صعيد مصر ، ومن ثمة إلى ليبيا . وكانت تشتهر بالتجارة والفروسية ، ومن اشهر رجالها ، جد شاعرنا (الشريف علي سعيد) ، وكان تاجر رقيق وعاج وذهب وحرير . وكانت له صلات بسلاطين افريقية والسودان ، وكان يتجر عن طريق (درب الأربعين) التي تربط ما بين السودان وليبية الغربية .

---

(١) من حديث شافهني به الشاعر نفسه واذن بنشره .

(٢) من حديث شافهني به الشاعر نفسه واذن بنشره ، وراجع أيضاً : كحالة (عمر رضا) مادة : « الجهمة » : « معجم قبائل العرب القديمة والحديثة » ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ٢١٤ .

وفي احدى رحلاته ، أهديت اليه (جارية) فتزوجها ، وجعلها (حرّة) لأنهـــا كانت فوق جمالها ابنة أسرة من كبار قومها ، فأنجبت له ذكراً (توفي) ، وأنثى هي والدة شاعرنا الفيتوري ، وكان اسم الزوج هذه « زهرة » وفي حضن الجدة « زهرة » تربى الفيتوري مدة من حياته ، وكان لها تأثيرها العميق في تكوينه النفسي والشعري (١) .

وكانت أسرته تتألف من الأب والأم وشقيقة ومنه . وقد توفي لهم ذكور ثلاثة هم : محمد (غير شاعرنا) ، وابراهيم ، وعبد السلام .

عرفت اسرته الهجرة غير مرة ، إذ أن الوالد قد هاجر من ليبية إلى غربي السودان ، قبيل الحرب العالمية الأولى ، مع من هاجر من ابناء ليبية بسبب وطأة الاستعمار الإيطالي ، وتحت ظروف تكاد تكون شبيهة بالظروف التي اضطرت ابناء لبنان وسوريا إلى الهجرة في القرن التاسع عشر . وكانت أسرة الأم قد هاجرت هي ايضاً إلى هناك حيث استقرت

---

(١) من حديث شافهني به الشاعر نفسه ، واذن بنشره .

الأسرتان فتعرف والد الفيتوري بالوالدة ، وتزوجهـــا ، وكانت صغيرة السن . ومن غربي السودان هاجرت الأسرة الجديدة ، إلى مصر (الاسكندرية) حيث نشأ محمد وترعرع .

في الاسكندرية ، وفي بيت كله التقوى والصلاح والحزم والعطف ، تربى محمد ، بين قسوة الأب ، وحنان الأم ، وفي بيئة تخيم عليها : « ... قوة المصارعة ، مصارعة الحياة ، والتغلب على الآلام بالايمان والعمل الدؤوب ، حيث ينتزع الناس لقمـــة العيش الشريف بالعرق المتصبب ، ويصارعون الف مشكلة ... »[1] .

---

(١) المصراتي (علي مصطفى) : مقدمة ديوان « معزوفة لدرويش متجول » لمحمد الفيتوري . الطبعة الأولى ، دار المصراتي ، طرابلس ، ليبيا ، ١٩٦٩ ، ص ١١ .

— ٢ —

الفيتوري التلميذ :

وفي منطقة القباري في الاسكندرية ، في شارع المكس بالتحديد نشأ الفيتوري والتحق بمدرستها الأولية ، (مدرسة الاخلاق) للشيخ عبد الخالق البسيوني لحفظ القرآن الكريم ، تأهباً لدخول الأزهر الشريف كما قضت بذلك رغبة والديه ، إذ نذراه ليكون خادماً لكتاب الله العزيز [1] .

وحفظ القرآن الكريم ، لكنه عاني في حفظه كثيراً ،

---

(١) راجع : الفيتوري (محمد) : « اذكريني يا افريقيا » الطبعة ؟ دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٦ .

و « تجربتي في الشعر » مجلة « الآداب) ١٩٦٦ ، العدد ٣ ، مارس (آذار) ص ٩ . و « ديوان محمد الفيتوري » الطبعة ؟ دار العودة ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٧ و ٨ . ومقدمة ديوان « معزوفة لدرويش متجول » بقلم مصطفى علي الصراتي ، ص ١١ .

فكان يلاقي جزاء نسيانه اياه ، ويتذكر الفيتوري ايام تلمذته ، وقد لاح في مخيلته خيال شخصه الصغير ابن الأثني عشر ربيعاً، فيقول : « اذكرانني عانيت في حفظه كثيراً (اي القرآن الكريم) كم من امتحان سقطت فيه، وعوقبت على نسيانه اشد العقاب، من عصا شيخي الضرير السمين » . كانوا يعلقونه من قدميه في « الفلكة » — قطعة من الجريدة مشدودة إلى طرفيها قطعة من حبل مرخاة عند الوسط بعض الشيء ، بحيث تتسع لقدمي مثله ويأخذ اثنان من أنداده يقفان هنا وهناك ، في الضغط عليها حتى تصير قدماه بينهما ، مسطحتين في وضع متواز ، وتبدأ عصا الفقيه ، حركتها البندولية صعوداً وهبوطاً ، فوق قدميه ، دونما هوادة ، أو استجابة لصرخاته وأناته الضعيفة المتقطعة .. ولم يكن « سيدنا » يكف عن ممارسة هذه العملية الا بعد أن تكون قد تعبت ذراعاه » [١] .

بالإضافة إلى حفظ القرآن الكريم تلقى الحساب والإنشاء والأناشيد ، شأنه في ذلك شأن كل تلميذ في مثل سنه في مدارس ذلك العهد .

---

(١) الفيتوري (محمد) « اذكريني يا افريقيا » ، ص ٦ ، مجلة الآداب ، ١٩٦٦ ، آذار ، ص ٩ ، والديوان ، ص ٨ .

وقامت الحرب العالمية الثانية ، وكان الفيتوري في المدرسة الأولية ، في الاسكندرية ، فلا يعرف كيف قامت ، ولا لم قامت ، إنها في مخيلته ، لم يكن يفهم لها معنى . إنما كانت هناك حال من الرعب تصيب المواطنين بسبب الغارات الألمانية التي كانت تدمر وتحرق وتخرب . فكان يلجأ مع أسرته ومع الكثيرين من أمثالهم إلى الخندق ... وعقب الغارات كان يخرج مع الأطفال ليروا ما أحدثته القنابل من فواجع .

لقد تركت هذه الغارات في نفسه اشياء ، فجّرت مشاعر غامضة بالخوف والقلق والحزن والتوتر ، باحساس مـا ، بأن هناك شيئاً غريباً يحدث في هذا العالم الذي كان يراه عالم سلام ، تعكره الحرب التي لا ترحم .. لقد كان يحس احساس الرجل . كان عنده يقظة حواس مبكرة قبل أن تنضج .

وكان لأقاصيص جدته الزنجية واساطيرها أثرها البعيد في نفسه كان يبحث عن الحقيقة في اليقظة المبكرة . كل هذا تضافر وساعد على استيقاظه الدائم للكلمة وللنظرة . وهو لا يفهم السر .. لقد كان في منتهى التوهج كان متوتراً إلى

« حد الاحتراق » [1] ، انه بلا ريب ، لم يكن يعرف في ذلك الحين سبب الاحتراق ولم يكن باستطاعته أن يعرف [2] .

واشتدت وطأة الحرب ، وكان لا يزال في المدرسة الأولية حوالي السنة ١٩٤٤ ، فاضطرت أسرته للهجرة إلى ريف مصر ، إلى قرية (عرمش) في منطقة كفر الدوار ، وفي الريف المصري ، اتصل هذا الطفل بالطبيعة الحقيقية — هذه الأسرة الآتية من المدينة ، تسكن بيتاً طينياً ، وتعيش عيشة الفلاح — فتنصب الطبيعة هذه بكل حوافزها وانعكاساتها فيه : الأرض ، الفصول ، الضباب ، العمال ، الفلاحون .

وكان لا بد لهذا الفتى الأسمر المتخلي عن الدراسة ، ان يلهو في الريف — بعيداً عن أزيز الطائرات ودوي المدافع ، وانفجار القنابل — فتعاطف مع الطبيعة بشكل عميق انه كان في غالبية ، ايامه يخرج من البيت مبكراً ليصطاد السمك في

---

(١) من تعابير الشاعر نفسه .

(٢) من حديث شافهني به الشاعر نفسه ، واذن بنشره .

الترعة القريبة من القرية ، ويطارد الفراش ، ويلاعب الكلاب ويغازل الزهر والشجر ، ويراقب الفلاحين والعمال في أعمالهم وحلهم وترحالهم [1] ليكتب فيما بعد :

« كانت جموع السحب
كان الدجى يرخي جناحيه على القرية
وكانت لأوجــه ذات الأسى
ذات العيون الاستوائيـــة
قد انزوت خلــف سراديبهـــا
تحلم بالنـــار ، وبالثـــورة [2] ..

. . . . : . . . .

« ... وانتصبت أذرعهم في الدجــى
مثل محاريث علاهـــا الصدأ [2] ..

ويتذكر الفيتوري أيامه تلك في قرية (عرمش) :

« ... وراح يرى مــلء أحلامــه

---

(١) من حديث شافهني به الشاعر نفسه ، واذن بنشره .
(٢) الفيتوري (محمد) : « أغاني افريقيا » ، الطبعة الثانية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٢٦ و ٢٩ الديوان ، ص٦٧و ٧١

جزائر غارقــة في الغمام
يظللهــا نغــم أزرق ..
شفيف .. شفيف بلون السلام
وكانت هنالك عند الشمــال
حقول متوّجة بالغــلال
وقوم من السود مستغرقون
يرصون أكداسهــا في التلال
وأصواتهم وزغاريدهــــم
ترفرف صاعدة من بعيــد
كما يتصاعد كل صباح ضباب الحقول
ببطء شديــد .
وحين تصف طيور الغروب
على الأفق أجنحتهــا المذهبات
وتمضي تنقر ثوب السكون
بكل مناقيرها المتعبــات
تراهم يلوحون فوق الدروب

أو يتوارون خلف الشجــر
وهــم عائــدون إلى دورهــم
بأيــد مثقلــة بالزهر .. » (١)

وتضع الحرب العالمية الثانيــة أوزارها ، ويعود محمد الفيتوري إلى الاسكندرية ليتابع دراسته في المعهد الابتدائي حتى عام ١٩٤٧ ، ثم بعد ذلك يلتحق ، ولمدة سنتين — بالمعهد الديني التابــع للأزهر في الاسكندرية (حتى عــام ١٩٤٩) في رأس التين ، حيث بدأت مسيرته الطويلة ، لفهم اللغــة العربية والتعرف إلى مصادرها ، والفلسفة الاسلامية وبعض العلوم الحديثة كالحساب والجغرافية والرسم ، ليعود بعدها ، ويدخل المعهد الديني الثانوي في القاهرة . ثم إلى الأزهر الشريف حتى عام ١٩٥٣ . حيث تابــع دراسته في علم الصرف والعروض والفقــه والشريعة وعلم الكلام

---

(١) الفيتوري (محمد) : « أغاني افريقيا » ، ص ٥٢ و ٧ ، الديوان ص ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ . مجلة « الآداب » ١٩٥٥ ، العدد ١ كانون الثاني ص ٦٤ .

والمنطق والتاريخ والجغرافية وعلم البديع ، وتعرف إلى بعض اعلام الفلسفة . ولكنه « ... في زحام الفية ابن مالك ، ومشاكل النحو والاعراب ، وقضايا الفقه والشريعة ، ومجادلات الفلاسفة والمتكلمين ، أحس بالغربة والحزن ، يخيمان على روحه « و » يؤرقان أيامه ولياليه .. » [١] .

ومن الأزهر ، وفي العام الدراسي ١٩٥٣ — ١٩٥٤ انتقل الفيتوري إلى كلية دار العلوم بالجامعة القاهرية ، فرع الآداب والدراسات الاسلامية ، حيث قضى فيها سنتين ، ثم تركها من دون أن ينال شهادتها ، منصرفاً إلى دنيا القلم ، والصحافة وفي اثناء دراسته في كلية دار العلوم ، نشر ديوانه الاول « أغاني افريقيا » [٢] عام ١٩٥٥ ، فأقامت له الكلية حفلة تكريمية تشجيعاً ، واعتزازاً بطالب استطاع أن يهز

---

(١) الفيتوري (محمد) : « اذكريني يا افريقيا » ص ١٠ ، الديوان ، ص ١٣ ، مجلة الآداب ١٩٦٦ ، آذار ، ص ٩ .

(٢) صدر هذا الديوان بطبعته الأولى عام ١٩٥٥ ، عن دار المعارف ، بيروت وطبع غير مرة . وقد اعتمدت على الطبعة الثانية بعد مقابلتها بالطبعة الأولى .

الأوساط الأدبية والفكرية في مصر والعالم العربي ، بالقضية التي تناولها في هذا الديوان . ودفاعه عنها ، الا وهي القضية الافريقية [1] .

هذا الطالب الشاعر ، كان كسولا في دروسه ، غير مواظب على حضور المحاضرات الجامعية ، متمرداً ، يكره القوالب الجافة التي تمليها عليه الدروس ، فكان يهرب من « روتينها » إذ هو في توهج دائم وحركة مستمرة ، — كحبات الزئبق الرجراجة في يدك — في تطلع بعيد ، تحدوه الرغبة الجامحة ، إذ كان يهيم بالشعر ، وبالكلمة القوية . الكلمة العنيفة .

وكان يخفف من حدته هذه ، هربه من قاعات الدرس ، إلى شواطيء الاسكندرية وإلى شراء الكتب للمطالعة ، وحضور محاضرات تتفق ومزاجه . والبحث عن كاتب أو شاعر .. كانت الكلمة تتمخض فيه ، تؤرقه ، تعذبه ، لقد كانت

(١) من حديث شافهني به الدكتور عبد الحكيم بليغ نفسه ، واذن بنشره ، وكان استاذ الفيتوري في كلية دار العلوم .

بدايات شاعريته . وللافراج عن كبته [1] وعذابه — كان يناقش ويحاضر ، ويتظاهر مع الطلبة المتظاهرين ويخطب فيهم.

لقد عاش الفيتوري يفاعته في اضطراب وخفقان وتنقل محلي دائم ، وشارك بالاحداث الطالبيـة واعمالها . حتى انه كان عضواً في جمعية طالبية تسمى « جبهة مصر » وكان شاعرها (عام ١٩٤٨) [2] .

وترك الجامعة قبل أن ينهي دراسته فيهـا ، مؤثراً العمل القلمي الصحفي ، هاربـاً من رتابة الدروس وقيود الجامعة وقوانينهـا ، ومن قيود المحاضرات المفروضة واجوائها ، ربمـا لأنه وجد أن العمل الصحفي يؤمن لـه عيشاً [3] ، ويحرره من الاغلال التي كان فيها على حد اعتقاده. وبهذا يكون قد دخل معترك الحياة رجلا يكافح بعزيمة الرجال ، وارادة اصحاب الكلمة .

---

(١) راجع : المصراتي (علي مصطفى) : « مقدمة ديوان معزوفة لدرويش متجول » ص ١٢ — ١٤ .

(٢) من حديث شافهني به الشاعر نفسه ، واذن بنشره .

(٣) من حديث شافهني به الدكتور عبد الحكيم بلبع نفسه ، واذن بنشره

- ٣ -

الفيتوري الرجـــل :

« . . . ذلك الشاعر .. من يكون ؟

ذلك المغني الهمجي

ذلك المهرج الحزيـــن

ذلك الذي يصبغه الجلال والذهول

كلما انحنى على جراحه

وراح يقرع الطبـول ... » [١] .

هذا الشاعر هو محمد الفيتوري الرجل ، الذي تحمله الكلمة الحساسة ، والشعور الحزين ، ويلفه الجلال والذهول في آن معاً . ذلك أن الفيتوري ذو طبيعة بالغة الاحساس ، تؤلمه النظرة : « ... دائماً تحاصرني عيونهم .. تتابعني حينما

---

(١) الفيتوري (محمد) : « اذكريني يا افريقيا » ص ٤٣ — الديوان ص ٢٣٠ .

اسير .. انهم يسخرون مني ... لقد فضضت سر اللغز . سر مأساتي أنني قصير ، واسود ، ودميم ... »[1] .

« فقير أجل .. ودميم دميـــم
بلون الشتاء .. بلون الغيوم
يسير فتسخر منه الوجـــوه
وتسخر حتّى وجـــوه الهمـــوم
فيحمل أحقاده في جنون [2]
ويحضن أحزانه في وجوم [3]
ولكنه ابـــدا حـــــالم
وفي قلبه يقظات النجوم..»

---

(١) الفيتوري (محمد) : « مجلة الرسالة » ١٩٥٢ المجلد ٢٠ ، العدد ١٩٧٧ آذار (مارس) ص ٣٤٠ ، المصدر السابق نفسه ص ١٢ ، و « الآداب » ١٩٦٦ ، العدد ٣ آذار ص ١٠ ، والديوان ، ص ١٥-١٦.

(٢) ورد في مجلة الرسالة ص ٣٤٠ « فيحمل آلا مه في جمود » . ويشرب أحزانه في وجوم » ورد في الديوان ص ١٦ ، « فيحمل آلا مه في جمود » .

(٣) المراجع السابقة نفسها والصفحات نفسها .

اذن ، فالفيتوري – وعلى حد تعبيره – فقير ، واسود ، وبشع ، وهذا الثالوث من الفقر والسواد والبشاعة جعل منه انساناً . يحس مأساته ذات عبء ثقيل ، نهشت كيانه ، فجعلته يصب شعره ، ناراً محرقة ، وحقداً اسود ، وتمردا عنيفاً ، يخالطها حزن عميق بشعوره بالهزء والسخرية .

ويصور وجهه وقامته بريشة حادة ، كأنه ينحت في صخر ، وذلك بنوع يشبه الألم الدامي :

« ... فقير [1] .. فوجه كأني به

دخان تكثف ثم التحم

وعينان فيه كأرجوحتين

مثقلتين بريح الألم

وأنف تحدر ثم ارتمى

فبان كمقبرة لم تتم

---

(١) وردت في مجلة « الرسالة » ١٩٥٢ ، المجلد ٢٠ ، العدد ٩٧٧ ، آذار (مارس) ص ٣٤٠ ، « دميم » وكذلك في كلمة محمود امين العالم حول ديوان « أغاني افريقيا » ص ٥ والديوان ص ٤٤ .

ومن تحتها شفة ضخمة

بدائية قلما تبتسم

وقامته لصقت بالتراب

وان هزئت روحه بالقمم .» (١)

ولكن من يعرف الفيتوري أو يتأمل صورته ملياً . يراه قصير القامة ، نحيلها ، ذا بشرة سمراء مائلة إلى السواد أكرت الشعر جاحظ العينين من دون نتوء ، وأنف أفطس نوعاً ما ، وفم ذى شفتين عريضتين غير ضخمتين كما صورهما . وهو إلى ذلك عادي الملابس على غير تأنق ، تفوح كلماته بمعاني العنفوان والكرامة .

والأزمة التي اجتاحها ربما يعود سببها إلى كونه قد نشأ وعاش قسطاً من شبابه في مدينة سيطرت فيها الأقلية الأوروبية البيضاء ، مكونة طبقة ارستقراطية انعزلت عن ابناء الطبقة المحلية وتعالت بعنجهيتها العنصرية عليهم .

(١) الفيتوري (محمد) : « الديوان » ص ١٧ ، ومجلة « الرسالة » ١٩٥٢ العدد ٩٧٧ ص ٣٤٠ .

وقد لحق بها ابناء اسر الباشوات والحكام بطانة العهد الملكي البائد في مصر ، وهؤلاء جميعاً لم يعرفوا الوجه الأسود الا خادماً ذليلا .. [1] فهو لو عاش في قلب القارة حيث تبدو سحنته السمراء شيئاً عادياً لا يثير السخرية لربما تغيرت شعوره

واما فقره فقد كان فقراً محترماً ، يقول :

« لم نكن فقراء جداً ، لم نكن فقراء بالمعنى الانساني المهين . كنا فقراء محترمين ، يجد الأب يومياً ، ما يكفي لزوجته وطفليه من القوت كما كان لنا بيت صغير أأوي اليه . البيت لم يكن من صنيع الأب ، كانت الأم قد ورثت بعض المال عن والدها الثري المتوفي ذلك التاجر الليبي علي سعيد . كان في زمانه أحد كبار تجار الرقيق . وعندما توفي ترك ثروة اقتسمها الورثة وكانت امي احدى الورثة . وهكذا

---

(١) راجع العالم (محمود امين) : « مقدمة ديوان اغاني افريقيا » وديوان محمد الفيتوري) ص ٤ ، و ص ٤٢ و ٤٣ .

والنويهي (محمد) : « الاتجاهات الشعرية في السودان » الطبعة ؟ معهد البحوث والدراسات العربية العالمية ١٩٥٧ ، ص ١٥٧ .

كان لنا بيت ، جعلنا نبدو امام الآخرين . فقراء محترمين [1]»..

هذا الفيتوري الذي يجد في لونه نوع من الكراهية والمهانة، يناقضه قول حبيبة النبي سليمان اذ تصف نفسها بالجمال وهي سوداء مثله « ... انا سوداء لكني جميلة يا بنات أورشليم كأخبية قيدار وكسرادق سليمان . لا تلتفتن إلى كوني سوداء ، فان الشمس قد لوحتني ... » [2] .

وروحه التي هزئت بالقمم ، والتي تحدت المأساة بعناد، هي سليلة الغضب والكبرياء ، فالفيتوري ابن الغضب ، وتمرده وليد الكبرياء ، لأنه واثق بنفسه :

« ... ولدت فوق عتبات الصمت والغضب
أنا تمرد التعب .
انا تجسد الذهول ... » [3]

---

(١) من مذكرات الشاعر ، صفحة بخط يده موجودة بحوزتي .

(٢) الكتاب المقدس العهد العتيق ، المجلد الثاني : « سفر نشيد الأناشيد » (الطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٠) الآية ٤ و ٥ .

(٣) الفيتوري (محمد) : « اذكريني يا افريقيا » ص ٤٠ ، الديوان ٢٣٤ .

وإن روحه مثملة بالغضب [1] ، والفيتوري يغضب عندما يقول الشعر ، وهذا الغضب عصب من اعصاب شعره [2] :

« ... كان بيت الله قدسياً بهم
قبل أن يأتي على القدس الظلام
وأتوا ... يا كبرياء انتفضي
وانتقم يا جرح .. واغضب يا حسام ... » [3]

وهو إلى ذلك ايضاً متمرد في مشيته ، وفي سيره كبرياء فانه يسير على رؤوس أصابعه . ويرى في الغضب املا وابتعاثاً :

---

(١) الفيتوري (محمد) : « اقوال شاهد اثبات » ؟ ، دار العودة بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٩ .
(٢) راجع البقيلي (فاروق) « هكذا غادر الفيتوري لبنان » الديار ، ص ٥٥ .
(٣) الفيتوري (محمد) : « الثورة والبطل والمشنقة » ، ؟ دار العودة بيروت . ص ٤٨ و ٤٩ . الديوان ص ٦١٨ .

« ... يا امير الشعر اغضبها ...

فقد تخصب الروح وتخضر العظام ... »[1]

لقد صور الفيتوري نفسه بسخرية حادة ، فقسا ، ولم يرأف . لأنه كان مقتنعاً في صميم نفسه بأن لونه كريه « فتولد في أعماقه مركب نقص جعله يكتب شعراً مملوءاً بالحقد والغضب »[2] .

إنما هذا الهيكل الأبنوسي المفرط الحساسية ، يحمل في طياته طبيعة حية الضمير ، متيقظة . مشحوذة بالكرامة :

« قلها لا تجبن .. لا تجبن .

قلها في وجه البشرية ..

انا زنجي ..

وابي زنجي الجد

وامي زنجية ..

---

(١) الفيتوري (محمد) : « الثورة والبطل والمشنقة » ، ص ٤٥ ، الديوان ص ٦١٤ .

(٢) النويهي (محمد) : « الاتجاهات الشعرية في السودان » ص ١٥٧

أنا اسود ..

اسود لكني حر امتلك الحريــة ... » [1]

وهو وان كان ينضح حقــداً وانتفاضات انتقام ويعلن بتحد وغضب ثورته السوداء :

« ... لتنتفض جثة تاريخنـــا ..

ولينتصب تمثال احقادنـــا

آن لهذا الاسود .. المنزوي

المستواري عن عيون السنـــا

آن له أن يتحدى الورى ... » [2]

فانه يمد يده لأخيه الانسان ، بانسانية خلاقة تنم عن روح الأخوة الانسانية المنشودة ، وينادي أخاه اينما كان ، ويمني النفس بلقائه ، ويعلن له بأنه قد تطهر من حقده

---

(١) الفيتوري (محمد) : « أغاني افريقيا » ص ٣٨ ، « والديوان » ص ٨٠ .

(٢) الفيتوري (محمد) : « أغاني افريقيا » ، ص ٢٣ « والديوان » ص ٦٥ و ٦٦ .

ودفن ثورته :

« يا اخي في الشرق ، في كل سكن

يا اخي في الأرض ، في كل وطن

انـــا ادعوك ..

يا اخاً اعرفه .. رغم المحن

. . . .

لم أعـــد عبد قيودي

لم أعـــد عبد ماض هرم ... » [1]

والفيتوري ذو مزاج حاد ، « صفراوي » اهلك كل بهجة وجمال في الحياة [2] ، ونلاحظ ذلك في صوره وتعابيره والتي استعملهـــا لاسيما في ديوانه الأول « أغاني افريقيا » ،

---

(١) المصدر السابق نفسه ص ٣٢ ، و « الديوان » ص ٧٢ و ٧٣ .

(٢) راجع : النويهي (محمد) : الاتجاهات الشعرية في السودان» ص ١٥٥ .

مثل « حلمك الأسود »[١] و « ذاتك المظلمة » و « هنـــا ، هنا وراء الجدار اللامع .. المطلي بأحزاننا » .

إلى عشرات الصور والتعابير القاتمة السوداء التي يضج بها هذا الديوان ، وحتى في ديوانيه الثاني « عاشق من افريقيا »[٢] ، والثالث « اذكريني يا افريقيا » ، يتبدى لنا مزاجه هذا .

لكننا نلمح مزاجه في دواوينه اللاحقة بشكل آخر ، حيث ، الاشراق والأمل ، والابتسامة ، على شيء من الحزن ، الحزن الرافض الذي يعانق الفرح في مصبه الأخير في الانسان :

« ... وكأشجار الغابة ..

يخضوضر من أجلك حزني

---

(١) الفيتوري (محمد) : « أغاني افريقيا » ص : ٢٠ و ٢١ و ٢٨ – و « الديوان » ص ٦١ و ٦٢ و ٧٠ .

(٢) هو الديوان الثاني للشاعر الفيتوري ، صدر بطبعته الأولى عن دار الآداب في بيروت سنة ١٩٦٤ ثم توالت طبعاته . وقد اعتمدت على الطبعة الصادرة عن دار العودة في بيروت الطبعة ؟ سنة ؟ بعد مقابلتهـــا بالطبعة الأولى .

ينمو يتمدد .. يتسلق روحي ... »[1]

و ... فرحي طفل إلهي على نهر ذراعيك

وحزني قمـــر يسقط في

طاحونة العتمـــة ... »[2]

هذه النفس البائسة ، التي حبرّت أكداساً هائلة من الصفحات ، في بكاء حبها اليائس ، وشكوى زمنهـــا الغادر ، ورثاء شبابها الغض الذي شاخ في ريعـــان الصبا :

« كان الدجى اسود من لعنـــة

من صرخة حاقدة في الصدور

وكان طول الدرب ، طول الأسى

طول اكتآبات شبابي النضير

---

(١) الفيتوري (محمد) : « عاشق من افريقيا » دار العودة ، بيروت ص ١٠٢ والديوان ٤٣٨ .

(٢) الفيتوري (محمد) : « ابتسمي حتى تمر الخيل » الطبعة الأولى ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٤٧ و ٤٨ ومجلة « الديار » ١٩٧٤ ، العدد ٤٥ آذار ص ٨١ .

وكانت السحب تغطي السما
كأنها أكفان ميت فقير
وكنت امشي متخماً بالردى
كبعوضة تزحف بين القبور ... » [1]

هذه النفس الفيتورية قد تطهرت فيما بعد بنار الحبّ القدسية ، وبتجربة الحياة العميقة ، فازداد وعيها الاجتماعي ، وتخلت عن اليأس ، والحقد الأسود ، وشكوى الزمن القهار ، وصارت ترى الدنيا باسمة جميلة والفرح يملأ جنباتها والزهور تتضوع في بساتينها :

« كانت الأرض عذراء
والفجر لم يشتعل بعد ..
فليبق وجهك مشتعلا بالجمال
اشتعل ابدا بالجمال
اشتعل مثلها ايها الغجري المغني ... » [2]

---

(١) الفيتوري (محمد) : « أغاني افريقيا » ص ٨٨ و « الديوان » ص ١٣٩ – ١٤٠ .

(٢) الفيتوري (محمد) : « اقوال شاهد اثبات » ص ٧٤ ، ومجلة الأسبوع العربي ١٩٧٢ ١٩٧٢ المجلد ٣ العدد ٦٧٩ ، حزيران ص٩.

و « ... ابتسمي

حتى تمـــر الخيـــل

والبيارق المذهبة ... »[1]

و « ... انت مدينة الفرح التي أغفو على أسوارها

وأغوص في أحشائها ارضاً وأزمنة ... »[2]

و « ... يا قمري يموت الضوء في شجر النهار

ويصبح البستان مزدهراً

وتزهر فيه ثانية واولد فيك ... »[3]

ومحمد الفيتوري الحاقد ، الذي عظّم العتمة ، ومجّد الدمامة ، وغنى الانتقام ، أضحى مغنياً للنور و الجمال والحب .

« دائماً يتألق وجهك في حائط

---

(١) الفيتوري (محمد) « ابتسمي حتى تمر الخيل » ص ٨ ، ومجلة « الديار » ١٩٧٣ العدد ٤ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ١١٠ ، ومجلة « بيروت المساء » ١٩٧٥ ، العدد ٦٤ ك٢ (شباط ، ص ٦٢ .

(٣) الفيتوري (محمد) : « ابتسمي حتى تمر الخيل » ص ١٠٢ ومجلة « بيروت المساء » ١٩٧٥ ، ٦٤ .

الصمت ...

نشق جوهرة الصمت عنك

وتبدو الأميرة قادمة من عصور الكهانة والسحر

رائعة توقظ الردهات

وتفضح بهو المرايا ... »[1]

و « ... سآتي

انا والحب

فلنغنّ الآن الحب ... »[2]

والفيتوري القلق الذي كان يسكن في مدائن الرحيل والتنقل : « انا قلق بطبعي ، لا أقيم في مكان ، الا وشعرت بالرغبة في مغادرته إلى مكان آخر ... « لا أعرف ما إذا كان سبب ذلك راجعاً ، إلى ظروف تكويني ، أو ظروف

---

(١) المصدر السابق نفسه : ص ٣٤ ومجلة « الديار » ١٩٧٣ ، العدد ١٣ ، تموز ص ٧ .

(٢) المصدر السابق نفسه : ص ٤١ ، ومجلة « الديار » ١٩٧٤ ، العدد ٤٥ آذار ص ٨١ .

مجتمعي .. »[1] صار يتوق إلى السكون والاستقرار ، والاقامة في مكان يحبه ، في بيروت .

وبالرغم من كبريائه ، وتمرده ، وعناده ، وغضبه ، فان الفيتوري يشكو من عقدة الخوف :

« ــ أخائف انت ؟

. . . .

تنام يا مولاي مهموماً ، وتصحو متعباً

واعجبا

تلبس تاجاً من الذهب

وجبة من الحرير والقصب

وحولك الحجاب والحراس بالآلاف

ثم تخاف !

اهذه خاتمة المطاف ؟ ... »[2]

---

(١) الفيتوري (محمد) : « لقاء مع الشاعر محمد الفيتوري » جريدة « النداء » ١٩٧٢ العدد ٦١ ، ايار ، ص ٢٤ .

(٢) الفيتوري (محمد) : « سقوط دبشليم » الطبعة الأولى ، منشورات نزار قباني ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ١٤ و ١٥ . و « الديوان » ص ٥٢٧ – ٥٢٨ .

ويعود سبب ذلك إلى ما عبر عنه في مذكراته : « أعتقد أنهم كانوا يحملونني بأيديهم ، وهم يطلون من شرفة مرتفعة ، في طابق ما ، ويمضون يحركون جسمي الصغير في الهواء ، ولا يعيدونني إلى الأرض أو إلى صدر امي الا بعد أن أكون ، قد صرخت ، وأعولت وارتعدت فرائصي . خوفي من السقوط في الهوة التي يؤرجحونني فوقها ... » .

« لذلك انا أخشى دائماً من الأماكن المرتفعة ، حتى في هذه السن الناضجة ، التي اشرفت عليها .. » [1] .

ان محمد الفيتوري الذي احترق بنار الحقد . والرحيل والغربة ، واكتوى بلهيب البغض والنقمـــة والثورة السوداء، وعاش في الحزن والقلق ، وحمل مأساته صليباً طوال خمس عشرة سنة ، مأساته اللون ، استطاع ان يرتفع بمستوى عذابه، وقد تطهر في آتون نار الانسانية والابداع بعد أن خاض تجارب اجتماعية وسياسية كثيرة ، فوعي الحياة ، متعاطفاً مع

---

(١) من مذكرات الشاعر الفيتوري ، صفحة بخطه موجودة بحوزتي .

الناس على مختلف بيئاتهم ومشاربهم ونزعاتهم ، « ... إذ أنه منذ رحيله عن غابات الحزن الوحشي في افريقيا ، إلى جبال الحب الصوفي في لبنان ، وهو يعيش التجربة الانسانية الكبرى، يتطور فيها ، وتتطور معه ، وانسانه الأسود العاري ...

« من ذلك الوادي الرمادي انـــا

عارية روحي ، وعار جسدي ... » [١]

« اكتسي زيـــاً حضارياً ، واستبدل بقطعة الحجر وحفنة الطين سلاح الوعي وقبضة الابهام .

إنه في حالة تباور دائمة نحو الصفاء الكلي ... » [٢]

عمله ووظائفه :

مارس الفيتوري في اثناء إقامته في القاهرة ، العمـــل

---

(١) الفيتوري (محمد) : « اذكريني يا افريقيا » ص ٤٠ و « الديوان » ص ٢٣٠ .

(٢) غصن (امينة) : « من كلمـــة الغلا ف الأخير لديوان ابتسمي حتى تمر الخيل » .

الصحفي ، فكتب في غير صحيفة [1] وكانت كتاباته ، دراسات أدبيـــة ، وتعليقات ادبية وسياسية خاطفة ، تقديم مؤلفات واصوات شعرية ناشئة ، اجراء مقابلات واستفتاءات ادبية وفكرية وثقافية ، ولاسيما في صحيفـــة « الجمهورية » إذ أن هذه الجريدة إلى جانب المجلات والجرائد المصرية ، قد اعتنت بالأدب ، وخصصت له صفحة تظهر مرتين في الأسبوع ، باشراف الشاعر محمد الفيتوري[2] .

وبعد أن انتقل إلى السودان عام ١٩٥٨ ، عمل في الصحافة السودانية ، فرئس تحرير غير جريدة ومجلة [3] ، من أبرزها ، مجلة « الاذاعة والتلفزيون » السودانية ،

وفي لبنان ، كتب ايضاً في عدة جرائد ومجلات ، فكان

---

(١) من هذه المجلات والصحف : « التحرير » و « آخرساعة » و « الجمهورية » و « الهلال » .

(٢) راجع : مروه (اديب) : « الصحافة العربية ، نشأتهـــا وتطورها » الطبعة الأولى ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١ ، ص ٤٤٩.

(٣) من هذه المجلات والصحف : « النيـــل » و « الناس » و « التلغراف » و « الأمة » .

محرراً أدبيـــاً في مجلة « الأسبوع العربي » ، ومحرراً في جريدة « بيروت » وشارك » في اصدار مجلة « الديــار » التي كان يكتب فيهـــا بعض المقالات المختلفة ، والقصائد ، واسند اليه مهام رئيس تحرير مجلة « الثقافة العربية » الليبية ، لكنه ما لبث أن استقال من هذا المهام على أثر انتقال تحرير المجلة المذكورة ، وطباعتهـــا إلى ليبية . فعين عضواً في هيئتهـــا الاستشارية [1] .

وكان قد شغل وظيفة خبير اعلامـي في جامعة الدول العربية بالقاهرة ، هذه الوظيفة التي كان يرها قريبـــة إلى

---

(١) هذه الهيئة كانت تزيـــد وتنقص في عـــدد أعضائهـــا ، امـــا أعضاؤهـــا المسجلون في آخـــر عدد صدر حتى نيسان ١٩٧٥ أي العدد الرابع من السنة الثانية فهـــم : أبو القاسم كرو ، الدكتور احسان عباس ، الدكتور انيس صايغ ، الدكتور عبد الله عبد الدايم ، الدكتور علي فهمي خشيم ، محمد الفيتوري ، محيي الدين صبحي ، رجاء النقاش ، احمد ابراهيم الفقيه ، وظل الفيتوري رئيس تحريرها حتى العدد السادس : السنة الأولى ، نيسان ١٩٧٤ .

نفسه كونها تتيح له قدراً من الحرية والحركـــة والانطلاق [١].

ويقول صديق الفيتوري وزميله الأديب والصحفي ، فاروق البقيلي عن عمل الشاعر في جامعة الدول العربية : « ... لم يكن يعمل .. ليس لأنه لا يريد .. ولكن لأنهم هم لا يريدون [٢] ، واعتراه الملل حتى ضجت روحه منه ، يجب أن يهرب إلى مكان مـــا قبل أن يتحول إلى مومياء في متحف ، أو قضية في أرشيف ... » [٣] .

وبالفعل ، هرب الفيتوري ، وترك وظيفته خبيراً اعلامياً

---

(١) راجع : « لقاء مع الشاعر محمد الفيتوري » ، جريدة « البناء » ١٩٧٢ ، العدد ٦١ ، ايار ، ص ٢٤ ، وقد حدثني الشاعر ان هذه الوظيفة ليست الا ارتداء البذلة وربطة العنق ، والجلوس وراء طاولة المكتب والتحدث برصانة ووقار ، إذ كانت مهمته تقتصر على قراءة التقارير الواردة من البعثات العربية في الخارج .

(٢) أي السلطات السودانية ، او القائمون على شؤون الاعلام في جامعة الدول العربية .

(٣) البقيلي (فاروق) : « هكذا غادر الفيتوري لبنان » ، مجلة « الديار » ١٩٧٤ ، المجلد ؟ العدد ٦١ ، حزيران ، ص ٥٥ .

اثر رجوع الرئيس السوداني جعفر النميري إلى الحكم [1] بعد الانقلاب الشيوعي الفاشل الذي قام ضده ، عام ١٩٧١[2].

وكان من الأسباب التي أدت إلى تركه وظيفته هذه ، ان الشاعر نظم قصيدة في رثاء عبد الخالق محجوب زعيم الحزب الشيوعي السوداني آنذاك ، ورفاقه الضباط الذين اشتركوا في الانقلاب ، واعدموا بعد محاكمتهم ، فمنع من الرجوع إلى السودان ... .

---

(١) استلم الرئيس النميري الحكم في السودان عقب ثورة ٢٥ ايار (مايو) ١٩٦٩ ، راجع كتاب : العقاد (عامر) : « وجاء مايو » الطبعة الأولى ، دار الجيل بيروت ١٩٧٢ ،

(٢) قام هذا الانقلاب يوم ١٩ تموز (يوليو) ١٩٧١ ، بقيادة بعض الضباط ولكنه لم يدم أكثر من ثلاثة ايام إذ أحبط ، وكان على رأس الضباط هؤلاء الرائد هاشم العطا ، والرائد فاروق حمد الله ، والمقدم بابكر النور ومن المدنيين ، الشفيع احمد الشيخ ، وعبد الخالق محجوب ، وقد اعدموا بعد محاكمتهم ، راجع المصدر السابق نفسه . و(فؤادمطر) : « الحزب الشيوعي السوداني ، نحروه ام انتحر ؟ » دار النهار للنشر بيروت ١٩٧١ ، ومحجوب (محمد احمد) : « الديمقراطية في الميزان » دار النهار للنشر بيروت ١٩٧٣ ، ص ٢٢٩ ومابعدها .

وعلى اثر ذلك ، قدم الشاعر إلى بيروت ، مقيماً ، وعاملا بالصحافة شأنه في ذلك شأن الكثيرين من الشعراء والكتّاب العرب الذين قدموا إلى لبنان مقيمين ، ومحترفين صناعة الصحافة ،[1] .

لكن الفيتوري ، ابعد عن لبنان فيما بعد ، وكان ذلك يوم ١٤ حزيران ١٩٧٤ لأسباب عزي إلى أنها سياسية ، وقد اختار الشاعر السفر إلى ليبية – باعتبار أنه ليبي الأصل ، لكنه يحمل الجنسية السودانية – ومن ثمة إلى دمشق . وكان لابعاده ضجة في الأوساط الفكرية والأدبية اللبنانية والعربية[2] . التي استنكرت هذا الترحيل ، الا أنه وبعد غياب دام حوالي

---

(١) من هؤلاء الشعراء والكتاب :

الشاعر نزار قباني الذي يكتب في « الأسبوع العربي » .

والشاعر محمود درويش الذي يكتب في « المحرر » .

والشاعر معين بسيسو الذي يكتب في « الأسبوع العربي » و الديار »«

والأديب غالي شكري الذي تنقل بين « الدستور » و « المحرر » .

(٢) راجع : مجلة الصياد ، ١٩٧٤ ، العدد ١٥٥٣ ، حزيران ، ص ٩٧ ومجلة « الدستور » ١٩٧٤ ، العدد ١٩٣ ، حزيران ، ص ٤٩ .

السنة ، سمح له بالعودة إلى لبنان ، وذلك يوم ٨ ايـــار ١٩٧٥ [1] .

(١) راجع : جريدة « النهار » ١٩٧٥ ، العدد ١٢٤٧١ ، الخميس ٨ ايار ، ص ١٠

— ٤ —

ثقافتـــه :

« كلماتي اشواق سجين عاش

وثأر سجين مـــات

. . . .

. . . .

« ... كلماتي اصوات حيـــاة

لا تعرف موت الكلمـــات ... [١] »

الفيتوري الذي لا تعرف كلماته موت الكلمات ، وهي في تصاعد متوهـج وتألق يتطهر يوماً بعد يوم ، من اين استقى علمه ، واستمـــد ثقافته ؟ .

لقد بدأت رحلة ثقافة الفيتوري هذا ، من مناطق إقليم

---

(١) الفيتوري (محمد) : « عاشق من افريقيا » دار العودة ، بيروت ، ص ٢٦ والديوان ص ٣٥٤ و ٣٥٥ .

بحر الغزال في جنوبي السودان ، من حضن جدته « زهرة » العجوز الأفريقية ، التي سكبت في روحه خيالات من آفاقها السرية الغامضة ، بما كانت تبث في شعوره من حكايات وأساطير من عقائد وتصورات رائعة مدهشة ومخيفة من عالمها الذي كانت تعيشه في أعماقها فانسكبت كلها في شعوره وكونت لديه نواة ثقافة تابع شاعرنا رحلتها فيما بعد [1] .

وتدرج تلميذاً في جميع مراحل الدراسة ونال قسطاً من العلوم العالية ، وفي أرقى مدارس العصر ، فأمدته بمادة لا يستهان بها من العلوم التي يحتاجها .

فقد حفظ القرآن الكريم ، وقرأ سفر ارميا ونشيد الأناشيد ، واقبل على الأدب العربي ، وكان له محبة في قلبه ، إذ عثر على بعض كتبه في مكتبة ابيه الشيخ الصوفي ، قرأ

(١) من حديث شافهني به الشاعر نفسه واذن بنشره ، وراجع ايضاً، جريدة المساء القاهرية عدد ١ / ٨ / ١٩٦٥ . « محمد الفيتوري يتمنى أن يكون ممثلا » « مجلة » الصياد ١٩٧٢ . المجلد ٢ ، العدد ١٤٤٨ حزيران ص ٦٠ ، حديث أجرته معه هدى الحسيني .

«سيرة عنترة »، ووجد فيه شخصية تماثله حياة وبيئة ، ولاسيما انه عربي اسود مثله ، وطالع « رحلة بني هلال » وتعرف إلى أبطالها . واشبع احتياجاته الروحية والعاطفية بقراءات كتب : « حمزة البهلوان ، والأميرة ذات الهمة ، وسيف بن ذي يزن ، وفيروز شاه ، والف ليلة وليلة » ، وعرّج في مطالعاته على القصص البوليسي ، كقصص ومغامرات « أرسين لوبين » ، وشارلوك هولمز ، واطلع على روائع الآداب الغربية مترجمة بالعربية مثـــل : « فاوست » و « آنا كارنينا » و « البعث » و « مجدولين » و « الحرب والسلم » و « آلام فارتر » .

واطل عليه من خلال شرفات العصور ونوافذ الفكر وبطون الكتب والدواوين شعراء ملأوا عليه كيانه من امثال : المهلهل (ت نحو ١٠٠ ق هـ / ٥٢٥ م) . وطرفة بن العبد (ت. نحو ٦٠ ق هـ / ٥٦٤ م) ، وعنترة (ت. نحو ٢٢ ق.هـ ٦٠٠ م) والنابغة الزبياني (ت. نحو ٨ ق .هـ / ٦٠٤ م) ، وزهير بن ابي سلمى (ت. ١٣ ق.هـ / ٦٠٩ م) وشغف

بشعرهم ، ولم تقتصر قراءاته على شعراء المعلقات ، بل أكبّ على شعر الشعراء الصعاليك ، وأعجبه ايضاً : ابو تمام (ت. ٢٣١ هـ ٨٤٦ م) ؟ والشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ / ١٠١٦ م) وتلميذه مهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ /١٠٣٧ م) . والمعري (ت ٤٤٩ هـ /١٠٥٧ م) ورفض ابا نواس (ت ١٩٦ هـ /٨١٢ م ؟) ، وابا العتاهيـــة (ت ٢١١ هـ /٨٢٦ م ؟) والبحتري (ت ٢٨٤ هـ /٨٩٧ م ؟) وخلال قبوله ورفضه كان يمارس كتابة أشيائه الخاصة [١] ، ولامسته الحضارة الاسلامية بكل تراثها ، ولا ننس انه ابن شيخ من شيوخ الطريقة الأسمرية في التصوف .

ونهل كذلك من معين الأدب العربي الحديث ، وتأثر في بداية امره بالشعراء الرومنطقيين ومنهم : ابو القاسم الشابي (ت ١٩٣٤ م) والياس ابو شبكة (ت. ١٩٤٧ م) ،

---

(١) راجع : « ادكريني يا افريقيا » ص ١٠ و ١١ و ١٢ ، الديوان ص ١٣ و ١٤ و ١٥ ، ومجلة « الآداب » ١٩٦٦ ، العدد ٣ ، ص ٩ و ١٠ .

وبالمهجريين الذين التقى بهم على صفحات المجلات الأدبية القديمة التي وقعت بين يديه ، لقد التقى بفوزي المعلوف (ت ١٩٣٠) ، م وجبران (ت ١٩٣١ م) ، ونسيب عريضة (ت ١٩٤٦ م) ، وايليا ابو ماضي (ت ١٩٥٧ م) ، وميخائيل نعيمة . وغيرهم من شعراء المهاجـــر . الذين وجد في شعرهم ، اشياء جديدة تأتيه عبر البحار ، وتوقظ مشاعره واحساسه يقول : « ... ان النكهة التي احسها في فمي عقب قراءتي لقصائد الشعراء المهجريين ، تحيّرني .. هل هي نكهة الجديد ؟ هل هي امتزاج الجديد الحقيقي بالقديم ... »[1] .

وكان من اشد هؤلاء المهجريين تأثيراً في نفسه وانطباعاً في فكره جبران خليل جبران لاسيما تأملاته الفلسفية العميقة . إذ كان يشعر انه قريب منه ، فهو مثله غريب وحزين ومكسور القلب[2] .

---

(١) راجع : « اذكريني يا افريقيا » ص ١٤ ، والديوان ص ٢٢٠ ومجلة « الآداب ١٩٦٦ ، العدد ٣ ص ٩ و ١٠ .

(٢) المصادر السابقة نفسها والصفحات نفسها .

وتوقف طويلا عند جبران في أعماله : « العواصف » و « الأجنحة المتكسرة » وحين وقعت في يده قصيدته الطويلة « المواكب » فرح كالأطفال ، وشدها إلى صدره وأخذ يتعبدها في خشوع [1] .

وتعلق الفيتوري بجبران إلى هذا الحد الذي جعله يتساءل: « لماذا يا ترى ؟ هل لأن جبران كان مسيحاً يتعاطف مع المساكين والعبيد والضعفاء ، وهو يحس أنه واحد من هؤلاء ... » [2] .

ووقف مذهولا امام شارل بودلير (ت ١٨٦٧ م) في ديوانه « ازهار الشر » وامام تعشقه « لجان ديفال » الجارية السوداء ، لأنه حطم الفوارق الطبقية والعنصرية ، بحبه لها ، والفيتوري يريد أن يحطم الفوارق تلك ، فهو ينتمي إلى

---

(١) المصادر السابقة نفسها والصفحات نفسها .

(٢) راجع : « اذكريني يا افريقيا » ص ١٥ والديوان ص ٢١ ومجلة « الآداب » ١٩٦٦ ، العدد ٣ ، ص ١٠ .

بودلير بصلة [1] العمل على اتحاد اللونين الأبيض والأسود ، أكان ذلك بالجسد ام بالشعر .

وكما نهل من الأدب العربي الحديث ، كذلك قرأ الأدب الغربي الحديث والمعاصر ، فأفاد من مطالعة : بوشكين (ت ١٨٣٧ م) ومايا كوفسكي (ت ١٨٩٣ م) السوفياتيان . ورامبو (ت ١٨٩١ م) الفرنسي ، وناظم حكمت (ت ١٩٦٣ م) التركي وبابلو نيرودا (ت ١٩٧٣ م) التشيلي .

ومثلما تثقف شاعرنا أدبياً وفنياً . كذلك تثقف سياسياً واجتماعياً . إذ أنه في اثناء انقطاعه عن الشعر مـــا بين ١٩٥٥ و ١٩٦٤ ، عمل بالصحافة والسياسة وخاض غير تجربـــة اجتماعية ، واستطاع أن يخرج من قوقعته الذاتية ، التي تجلت في ديوانه « أغاني افريقيا » والتي كانت مفعمة بالحقد والانتقام يقول : « استطيع الآن بعد أن خلصت من هذه المشاعر القديمة ... استطيع أن أؤكد أنني كنت مخطئاً في تصوراتي ، وفي استقبالي للأشياء ، بل وفي الحكم على نفسي .. » [2]

---

(١) المصادر السابقة نفسها ص : ١٥ - ٢١ - ١٠ .

(٢) جريدة المساء القاهرية عدد ١٠ / ٨ / ٦٥ .

ودخل الحياة من بابها الواسع بعد معاناة ، وانفتح على العالم ، وأصبح يعي الحياة ومشاكل المجتمعات أكثر فأكثر ، فاستفاد من تجاربه السياسية ، وتخلص من العقدة التي كان يعانيها ، عقدة النقص ، عقدة اللون .

وان انقطاعه مدة طويلة ، عن ممارسة الشعر ، وانخراطه في العمل السياسي المحلي ، والعمل الصحفي ، قد أكسبه قدراً من الوعي بحقائق السياسات العربية والتفهم العميق لأسرارها وحركتها الداخلية . ومن هنا جاء انفتاحه وخروجه من قوقعة الذات الافريقية السوداء ، إلى عالم أكثر رحابة ، هو عالم الانسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو موقعه . وقد أفادته هذه التجربة السياسية . فائدة كبرى ، إذ أنه من خلال احتكاكه المستمر بنماذج الشخصيات السياسية ، وملاحظة مستوياتها ومواقفهـا المختلفة .. ومصالحها وأهدافها المتباينة أصبح أقدر على رؤية الفساد الذي ينخر عظام المجتمع ، واكتشاف الزيف الذي يلون واجهته [1] .

وكان لانتظام شاعرنا في الأندية الأدبية ومحافلها ،

---

(١) راجع : الفيتوري (محمد) : « لقاء مع الشاعر محمد الفيتوري» جريدة « البناء » ١٩٧٢ ، العدد ٦١ ، ايار ، ص ٢٤ .

أثر في ثقافته الفنية ، فقد كان عضواً في « رابطــة النهر الخالد »[1] الأدبية ، وكان يتردد على « رابطة الأدب الحديث» بالاضافة إلى الأمسيات الشعرية التي كان يقيمها مع رفاقه الشعراء المصريين والسودانيين المقيمــين في مصر[2] ، (بالقاهرة) ، في جمعية الشبان المسيحية ، وجمعية الشبان المسلمين ، ودار نقابة المعلمين بالقاهرة ، هذا الاحتكاك الفكري الأدبي أتاح له أن يتعرف إلى العالم عن كثب ، ان يفهمه ، ان يحاوره ، أن يتأثر فيه ، أن يطلع على مختلف التيارات الفكرية واتجاهاتها . وكل ذلك أكسبه ثقافة واسعة ؛ استطاع بوساطتها أن يجلي في ميدان الشعر .

---

(١) ذكر محمد عبد المنعم خفاجي ، ونقل عنه احمد قيش ، ان الفيتوري كان عضواً في رابطة الأدب الحديث . (قصة الأدب المعاصر في مصر الحديثة ، الجزء الثاني الطبعة الأولى ، المطبعة المنيرية بالأزهر ، ١٩٥٦ ، ص ٧٥ ، وقيش في « تاريخ الشعر العربي الحديث » سنة ١٩٧١ ، ص ٢٤٩) وذكر لي الشاعر نفسه أنه لم يكن عضواً في هذه الرابطة ، وإنما كان احد اعضاء « رابطة النهر الخالد » ، وقد وجدت بعض قصائده موقعة كما يلي : « محمد الفيتوري (من رابطة النهر الخالد) ، وكان ايضاً من اعضاء هذه الرابطة الشاعر كمال نشأت ، والشاعر محمد فوزي العنتيــل .

(٢) هؤلاء الشعراء هم : تاج السر حسن ، جيلي عبد الرحمن محيي الدين فارس .

مؤلفاته وآثــاره

لقد أعطى الفيتوري ، منذ صدور ديوانه الأول عــام ١٩٥٥ ، وحتّى اليوم ، (شهر آذار ١٩٧٦) نتاجاً شعرياً لا بأس به ، وكله يتناول الانسان في كفاحه ونضاله ، في مصيره وحريته وكرامته ، في حبه وثورته ، هذا النتاج بوّأ صاحبه مركزاً مرموقاً بين شعراء العالم العربي المعاصرين ، ويضم نتاجه الشعري الدواوين الآتية: « أغاني افريقيا [١]» و « عاشق من افريقيا » [٢] و « اذكريني يا افريقيا [٣]»

(١) صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٥٥ عن دار المعارف بيروت ، وطبع غير مرة .

(٢) صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦٤ عن دار الآداب بيروت ، وطبع غير مرة .

(٣) صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦٦ ، عن دار القلم بالقاهرة ، وطبع غير مرة .

و « سقوط دبشليم» [1] و « معزوفة لدرويش متجول » [2] و « سولارا » [3] و « الثورة والبطل والمشنقة » [4] و « أقوال شاهد اثبات » [5] و « ثورة عمر المختار » [6] و « ابتسمي حتى تمر الخيل » [7] .

---

(١) وهو عبارة عن قصيدة طويلة (خماسيات) وصدرت الطبعة الأولى عام ١٩٦٨ عن منشورات نزار قباني ، بيروت .

(٢) صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٦٩ ، عن دار المصراتي للطباعة والنشر والتوزيع في ليبيا (طرابلس الغرب) مضافاً اليه بعض الخماسيات من سقوط دبشليم وطبع غير مرة .

(٣) وهي مسرحية شعرية صدرت الطبعة الأولى منها عام ١٩٦٩ ، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب للتأليف والنشر ، ثم صدرت عن دار العودة في بيروت بطبعتها الثانية (أحزان افريقيا – سولارا .)

(٤) صدر عن دار العودة في بيروت ويضم بعض الخماسيات من « سقوط دبشليم » .

(٥) صدر عن دار العودة في بيروت عام ١٩٧٣ .

(٦) وهي مسرحية شعرية ، صدرت الطبعة الأولى منها عام ١٩٧٤ ، عن دار العودة ، بيروت ودار الكتاب العربي ، طرابلس (ليبيا)

(٧) صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٧٥ عن دار الآداب ، بيروت

= * أما ديوان محمد الفيتوري فقد صدر عام ١٩٧٢ ، عن دار العودة في بيروت ويضم على التوالي (كما ورد في الديوان) :

١ – أغاني افريقيا .

٢ – اذكريني يا افريقيا .

٣ – عاشق من افريقيا .

٤ – معزوفة لدرويش متجول (مجردة من الخماسيات المضافة اليها من « سقوط دبشليم ») .

٥ – سقوط دبشليم .

٦ – البطل والثورة والمشنقة (مجردة من الخماسيات المضافة اليه من « سقوط دبشليم » .

واعتمادي كان على هذه النسخة من الديوان ، إذ أنه عندما كانت الرسالة ماثلة للطبع اكتشفت أن هناك أيضاً نسختين من الديوان المذكور وهما غير مؤرختين ، الأولى تضم على التوالي : أغاني افريقيا – احزان افريقيا – اذكريني يا افريقيا – عاشق من افريقيا – معزوفة لدرويش متجول – خماسيات من (سقوط دبشليم) – البطل والثورة والمشنقة – خماسيات من (سقوط دبشليم) . والنسخة الثانية تضم على التوالي ايضاً : أغاني افريقيا – اذكريني يا افريقيا – عاشق من افريقيا – معزوفة لدرويش متجول – احزان افريقيا (سولا را) – البطل و الثورة والمشنقة ، وهما صادرتان عن دار العودة في بيروت .

مؤلفات غير مطبوعة:

وللفيتوري مؤلفان غير كاملين ، ويعكف الآن على اتمامهمـــا وهما مسرحيتان :

– الأولى نثرية بعنوان « السجين »

– والثانية شعرية بعنوان « تاجوج »

واما شعره الأول ، والذي يؤلف حوالي مجلدين كبيرين ، فانه ضاع ، مع ما ضاع من كتبه واشيائه ، بين السودان ، ومصر ولبنان وليبية وسورية [1] ، اثر تنقله المستمر ، وإذا وجد – يوماً ما – فقد يشكل مادة صالحة لدراسة الفيتوري في بواكيره الشعرية التي تحدث عنها ، عندما كان يكتب الشعر مقلداً فيه بعض الشعراء الذين قرأ لهم في أول عهده بالقريض .

---

(١) من حديث شافهني به الشاعر نفسه ، واذن بنشره .

وفي اثناء البحث والتنقيب ، عن شعر الفيتوري الأول ، غير المنشور في دواوينه ، استطعت العثور على مجموعة من القصائد ، كان قد نشرها في صحف عدة ، من صحف العالم العربي ، واعتقد انها تشكل أكثرية ما نشره قبل صدور ديوانه الأول (أغاني افريقيا) . وسأثبتها في ملحق خاص في آخر الرسالة .

هذا النتاج الشعري والقصائد المتفرقة ، يشكل مجموعة الفيتوري الشعرية حتى عام ١٩٧٦ ، بالاضافة إلى عشرات المقالات الأدبية والسياسية ، والتعليقات والدراسات الأدبية، المنشورة في العديد من صحف العالم العربي ، وتتبعها يحتاج إلى وقت طويل ، ولا يستطيع القيام بهذا العمل الا من أراد أن يدرس الفيتوري ناثراً أو ناقداً ، أو راصداً للحركة الأدبية، والتطورات السياسية في المنطقة ، ونحن لا يعنينا من الفيتوري في هذا البحث الا شعره .

ومن المجلات التي كتب فيها :

آخر ساعة – والتحرير – والهلال (القاهرية) .

– الاسبوع العربي ، والديار ، والآداب (البيروتية) .
– الاذاعة والتلفزيون (السودانية) .
– الثقافة العربية (الليبية) .

ومن الجرائد :
– الجمهورية والأخبار (القاهرية) .
– التلغراف ، الناس ، النيل ، الأمة (السودانية) .
– بيروت (البيروتية) .

وأود أن أشير إلى أن الفيتوري كان قد كتب قصصاً اربع ، قصيرة ، ونشرها في جريدة « الجمهورية » القاهرية[1].

---

(١) راجع : جريدة « الجمهورية » ١٩٥٦ المجلد ٢ العدد ٨٨٠ ، ايار ، ص ١٢ والعدد ٩٢٤ ، حزيران ، ص ٥ والمجلد ٣ ، العدد ٩٣٠ ، تموز ص ١٢ والعدد ٩٤٤ ، ص ٣ .

أقوال شاهد إثبات

عبر الدهاليز الطويلة ..

التي تختال في قاعاتها الضيقة السوداء

آلهة الموت صفوفا

ناشرات خلفها الصمت والانطفاء

مشيت محكوما ..

تعريت من الذكرى

رقصت رقصتي القاسية الحزينه

كان دمي مئذنة ، وجسدي مدينه

غنَّيت للجنون كيفما أشاء

أصغيت مثلما أشاء

كنت كمن ليس يبالي
أنا والتاريخ ..
والنار التي تخرج من جمجمتي ..
صاعدةً الى السماء !

_ ٢ _

ثمة شيءٌ
انني أعترف الآن ..
لقد رأيتهم ..
إني رأيت القتله
مرُّوا على عينيَّ
وكانوا يصخبون كالطيور الجارحه
كانوا قضاة يحملون الأسلحه
ويمضغون الكتب المنزّله

وكدت لا أفهم ما يحدث

ما أبشع أن لا يفهم الانسان ما يحدث

ـ ماذا تصنعون ؟

أقتربوا ..

فاقتربوا ..

وأمطر الفجر الرماديُّ رصاصا ودماء

ومالت الاشجار في حديقة الله

وغطت وجهها السماء

ـ لم تقتلوا البذرة ..

لم تقتلعوا الصخرة ..

قلت اقتربوا ..

فاقتربوا

وكشفت عن وجهها الهزيمه

واقتربوا ..
وعلقوا صلبانهم في عنقي تميمه
واختلطت في ناظري الثورة والجريمه
وكدت لا أفهم ما يحدث ..
ما أبشع أن نفهم ما يحدث ..
.. ثم أشعلوا جنازتي
وطفقوا يتشحون بالرماد واحدا فواحدا
كانوا يلوّحون في وجه الاله
بالنعال والمدى
ـ جريمة أخرى ..
سدى تصبغ أيديكم ..
ولما تفرغوا بعد من الجريمة القديمه
أنبئكم ..

لن تفلتوا غداً
من قدر الولادة الأليمه
ومن مخاض الأمة العظيمه

ـ ٣ ـ

والتصق الصراخ في فمي :
الجناة .. التتريون .. الضحايا ..
الأسلحه ..
بيارق الثورة في الوحل ..
الزناة اغتصبوا السلطة
لم تنج من اللعنة حتى الأضرحه
يا وطني ..!
لم تنج حتى حرمات الأضرحه

ـ ٤ ـ

ساعترف
يا من ستأتون غداً
أني وقفت لم أحرك شفة ولا يدا
وانني في قمة العصر ..
شهدت المذبحه !

إلى ..
عبد الخالق محجوب ورفاقه

حين يأخذك الصمت منا
فتبدو بعيداً ..
كأنك راية قافلة غرقت
في الرمال
تعشب الكلمات القديمة فينا
وتشهق نار القرابين
فوق رؤوس الجبال
وتدور بنا أنت ..
يا وجهنا المختفي خلف ألف سحابه
في زوايا الكهوف التي زخرفتها الكآبه

ويجر السؤالُ ، السؤال
وتبدو الإجابةُ نفس الإجابه

* * *

وننَاديك ..
نغرس أصواتنا شجراً صندلياً حواليك
نركض خلف الجنائز ..
عارين في غرف الموت ..
ناتيك بالأوجه المطمئنه
والأوجه الخائفه
بتمائم أجدادنا ..
بتعاويذهم حين يرتطم الدم بالدم ..
بالصلوات المجوسية الخاطفه

بطقوس المرارات
بالمطر المتساقط في زمن القحط ..
بالغاب ، والنهر ، والعاصفه !

* * *

قادماً من بعيد على صهوة الفرس ..
الفارس الحلم ذو الحربة الذهبيه
يا فارس الحزن ..
مرِّغ حوافر خيلك فوق مقابرنا الهمجيه
حرِّك ثراها ..
انتزعها من الموت ..
كل سحابة موت تنام على الأرض
تمتصها الأرض ..

تخلقها ثورة في حشاها
انتزعها من الموت يا فارس الحزن ..
.. أخضر ..
قوس من النار والعشب ..
أخضر ..
صوتك ..
بيرق وجهك ..
قبرك ..
ـ لا تحفروا لي قبراً
سأرقد في كل شبر من الأرض
أرقد كالماء في جسد النيل
أرقد كالشمس فوق حقول بلادي
مثلي أنا ليس يسكن قبرا

لقد وقفوا ..

ووقفتَ ..

ـ لماذا يظن الطغاة الصغار

ـ وتشحب ألوانهم ـ

ان موت المناضل موت القضيه

أعلم سر احتكام الطغاة الى البندقيـــه

لا خائفاً ..

ان صوتي مشنقة للطغاة جميعا

ولا نادماً ..

ان روحي مثقلة بالغضب

كل طاغية صنم .. دمية من خشب

.. وتبسمت

ـ كل الطغاة دُمىً

ربما حسب الصنم ، الدمية المستبدة
وهو يعلق أوسمة الموت
فوق صدور الرجـــال
انه بطلاً ما يزال
ـ وخطوت على القيد ..
ـ لا تحفروا لي قـــبرا
سأصعد مشنقتي
وسأغلق نافذة العصر خلفي
وأغسل بالدم رأسي
وأقطع كفي ..
وأطبعها نجمة فوق واجهة العصر
فوق حوائط تاريخه المائله

وسأبذر قمحي للطير والسابله

* * *

قتلوني ..
وأنكرني قاتلي
وهو يلتف بردان في كفني
وأنا من ؟
سوى رجل واقف خارج الزمن
كلما زيَّفوا بطلا
قلت : قلبي على وطني !

أغني.. وأكتب مرثيتي

كلما آختلجت شهوة الدم في الأرض ..
أشعلت المدن الوثنية في الظلمات
معابدها ..
وأراحت خيول الغزاة ..
حوافرها العاريه
فوق خارطة الشرق
أواه ..
يا حائط الأوجه الدمويه
والصفقات المدانه
تضحكني كبرياؤك

تضحكني المومياوات شامخةً بالهزيمة
مزهوة بالاهانه
ترفعني راية من سواد على قبة القدس
تنقشني آية فوق مقبرة الدولة الأمويه
أسقط غضبان ..
أحمل شاهد قبري الى الله ..
ألعن أزمنة الموت والبربريه
أركض متشحاً برصاص الخيانه
مختبئاً في تجاويف أقنعة الجاهليه
أصرخ في غسق الأمة العربيه
أيتها الراية المستحمة بالنار والدم ..
أرواح الف نبي ترفرف عبر نسيجك ..

أيتها الأمة العربيـــه !

* * *

حين تحسست جرحك في عتمة الفجر
أغرقني في هوانهم ، الجالسون على شرفة العصر
أحدقَ بي التتري المتوج ..
باغتني من شمـــالي
باغتني من يميـــني
لامس بالسيف عظم جبيني
ـ متهم أنت
ـ أعلم .. لكنكم تحرقون الحدائق والطير
لم تتركوا للذين سيأتون
إلا رماد الحدائق والطير
ـ متهم أنت

ـ أعلم .. لكنما الأرض ما فتئت

والعدو يضاجع تاريخكم ..

ويبارك حرب أغانيكم الوطنيه

ان جرح فلسطين ليست تضمّده الكلمات

وعار حزيران ..

تغسل عار حزيران معركة القادسيه !

* * *

ولهذا أغني لمن سيجيئون يومـاً

ويمشون فوق عروش الهزيمة ..

قبل تساقط رايات جيلي

ولهذا أغني ..

وأكتب مرثية الساقطين على الدرب

قبل رحيلي !

رحلة ..
في عيون بلادي

فجأة ، تحت سقف الظهيرة
كامرأة خائفه
تطفىء الشمس قنديلها
ثم ترحل في العاصفه
راحل في عذابي أنا
مثلما ترحل الشمس في رحم العاصفه
راحل في عيون بلادي
المليئة بالدمع
ها نحن ذا يا بلادي
نتقابل ثانية ..

* * *

راحل ، وطني البرق
يا ويلتا ، أين أمضي ؟
ارحلي فيَّ ،
يرتحل الجرح والأرض
فالجرح جرحي ، والأرض أرضي
وأنا الريح والمدخنه
ارحلي فيَّ ، يا قطعة النجم ..
ترتحل الأزمنه

* * *

ما الذي أسكت الكلمات ؟

تآكلت الكلمات

تمرغت الكلمات

ارحلي فيَّ ..

قلب المغني حزين ،

وعين الملايين غارقة في السبات

* * *

ما الذي جعل الضحكات

نزيف جراح قديمه

غائرات الحفر

أنت أم ان طير الهزيمه

حط فوق غصون الشجر !

* * *

إرحلي فيَّ ، مثل الطيور الغريبة ..
راحلة أبداً ..
تنقر الأفق بالشوق والذكريات
ـ سفحت عطرها غابة الشوق والذكريات
إرحلي فيَّ ، لا سأما لا انهيارا
لا احتفالا بسقطتنا ، لا انكسارا
نحن لم ننكسر
حينما انكسرت قامة الضفدعه
نحن لم ننهزم
إنما سقطت عن وجوههم الأقنعه

الارض
لم تسقط ..

بعدك لا ..
قبلك لا ..
لا روعة النصر ، ولا جلال الانكسار
لا هالة المجد ، ولا الشمس ولا المرار
انهتك الستار
وخرج الليل من النهار
فالبطل الذي أضاءت وجهه الأقدار
مضت به الأقدار
مضى ، وأبقى للملايين وللأحرار
أثمن ما يبقيه من بعدهم الثوار

الرمز والشعار
وحلم الانتصار
وأن يزول ذلك الجدار
ويعصف التاريخ بالمغول والتتار
وتفتح الدار ذراعيها
لأهـــل الدار

* * *

بعدك لا ..
قبلك لا ..
فالأرض ما تزال
حبلى ..
وقلب الشمس ما يزال
أخضر ..

والثورة ما تزال

والنهر رغم الطحلب العائم مـــا يزال

والسلفيون الذين احترفوا النضال

سوف يزولون

ويبقى الغد للاجيـــال

فلتصدق الرؤيا التي أبصرها جمـــال

ولينصبْ الطوفان

فوق القبور الآن

خيمته الوحشية الألوان

وليكتب اسمه على حوائط النيران

مختتما عصر المهرجين والخصيان

* * *

تشابهوا يا خلفاء الله فوق أرضه

يا أمراء العالم القديم

هاأنذا أرقص في سارية مكسورة

أنقش تاريخ عذابي

فوق جذع شجره

هاأنذا آجرة في الحائط الشرقي

شاهد محدِّق في جنبات مقبره

تشابهوا .. تشابهوا

ها انذا يا أمراء العالم القديم

أصفكم وحدي على مائدة المساء

ألمسكم .. أحفر في عيونكم كما أشاء

أنظر ضاحكا إلى عظامكم

وهي تغوص فرقا وترتعد

أطفئكم وأتقد

أرقب ذاك الأفق الغائم وهو يبتعد
أبحث كالمجنون في أردية الرجال
وفي زوايا الصمت والظلال
عن غائب وهو حضور للابد
عن أحد ليس كمثله أحد

* * *

ها آنذا أبحث تحت قبعات الساسة السماسره
عن أمة مهاجره
تحمل جرح الطعنة الكبرى
وجرح الطعنات الغـــادره

* * *

تختلط الرؤى ، الفجيعة

اليقين باليقين
يجعلني صراخهم عاصفة عمياء
أوقفوا الصراخ ..
أوقفوا الأنين
الحرب لم تكن هي الحرب
فقد أثمرت الموت الخيـــانه
وٱحترقت أيدي التماثيل المهانه
الأرض لم تسقط ..
ولكن سقطت كل الحصون
وانتصر الغزاة والمهرجون

* * *

أعرف ان الغد ليس غدهم ..
وانهم سيهزَمون
فإن من لم يكبروا سيكبرون

وأن من لم يعرفوا سيعرفون
قد سقط القدس ..
وغاصت حافر القاتل في دمائنا المحرمه
وسقط البراق والوحي
فهل عرفت ، أو أهل تعرفين ؟
متى ستسقطـــين
يا مكة المكرمه !

* * *

بعدك لا ..
قبلك لا ..
لا بد من طوفان
يفقأ عيني هذه المدينة المحاصره
لعلها تبصر كيف تولد المؤامره

وتكبر المؤامره
وتفرخ المؤامره
حتى تسيل مطرا من أسقف البيوت
لعلها تعرف كيف يقبل البرابره
في الريح والضباب
ويصبح القياصره
الهة الخراب
وكيف تضمحل شمس العصر أو تموت !
مشنوقة من ساقها
في خيط عنكبوت

الهـ ..

غسان كنفاني

لحظة .. ريثما تتأملنا الغيمةُ الراحله
ثم تعبر باكية
ريثما تتلامس أشرعة الموت فينا
لحظة ، ثم عُدْ

أيها المتجسد في الروح
عُدْ في مخاض النهار

فجوة في جدار
أو شظايا انفجار
أو دماء تخط قصيدة عشق
على مقصله

ثم ترسم شارتها
فوق أزمنة الغاصبينا

ـ ٢ ـ

المرايا القديمة .
ملصقة في العيون القديمـــه
يا وطناً يتفجر فيه العذاب
ويهرم أطفاله الضائعون
على طرقات الهزيمه
يا وطناً أثقلته الجريمه
فتهالك تحت جراح الجريمه
ها هو ذا الجيـــل
يسقط في قدر الجيل

والآخرون هم الآخرون

انتفض مرة بالارادة والفعل

كن كلمة في كتاب الحقيقة

كن حجرا في جدار الجنون

انظر .. انظر

لقد صبغوا وجهك العربي ..

غدوت المهرج في حفلة القابضين على النصر ..

والقادرين على الكبرياء

انظر .. انظر

لقد صلبوك على صخرة الانحناء

انظر .. انظر ..

فما فتئت ذاتك الأبدية

تكتب قائمة الشهداء

آه .. يا وطني
لكأنك ، والموت والضحكات الدميمة
حولك ، لم تتّشح بالحضارة يوما ،
ولم تلد الشمس والأنبياء

ـ ٣ ـ

لم أكن غير صوت
حين فـــاجأني ..
وتداخلتُ في المـــوت
وعرفت اكـــتمال السكوت
ولذا لن أمـــوت
سأصير حديقة نار
تحلق أطيارها في زوايا البيوت
وأعرّي الوجوه التي

أعشب العار فيها ..
فـــأضحت خرائب معشبة
وأعَـرِّي السطور المهانه
والضعف بالضعف منفعلا
وأعرِّي الخيانـــــه
نائمةً ، كملاك عميق الطهـــارة ،
فوق سرير الخيانه

ـ ٤ ـ

حيث يحلم من صبغوا وجهك العربي ..
ومن قتلوني
انهم قتـــلوني
أتمرَّد فيك على الموت يا وطني
جاعلاً منه سيفي

وقنبلتي
وشهادة جيلي الطعين
وأعود أقاتل باسمك
في ظلمات السكوت
لأُعَلِّم من قتلوني
انني وطن لا يموت !

طرباى

كتب اسمه ورحل

الآن موعدنا ..

وأرضك لم تزل عطشى ..

سيشتعل المساء بهم ..

ويحتقن الهواء

وتموج أعمدة السماء

الغاصبون ..

لطالما اشتعلتْ عليهم مقلتاي

الآن .. لن يتقدموا ..

ـ من أنت ؟

ـ مكتوب على جدران لبنان القديم اسمي

أنا طرباي
مكتوب على أحجار هذي الأرض
تسكنني ، وأسكنها ..
فنحن اثنـــان ، متحدان
عبر دمائها ودماي
من أنتم ؟
لماذا تصخبون ؟
كأن أرضي أرضكم ..
لن تعرفوا معنى هواي ..
لهـــا ..
لن تعرفوا معنى هواي ..

ـ ٢ ـ

الليلة الزيتون ، يبدو في تألّـقه الحزين ..

كأن ثمة عاشقا متألـِّقا فيه

نشوان ، ينشره ويطـــويه

هذا المتوج بالسنا الأبدي ..

أفديه ..

.. ويفيق كالمأخوذ من أحلامه

متسترا في سره المفضوح

يا عاشق الزيتون ..

مثلك في الهوى طرباي

يحمل قلبه المجروح

والوجد يقتله ويحييه

ـ ٣ ـ

يا عاشق الزيتون ..

يا بهو الاساطير العجيبة ..

والمرايا الخضر ..
ها آنذا وحيد ، والدجى العربي
فوق مقابر الشهداء يستلقي ..
الدجى يرخي بقايا ثوبــــه فوقي
تعالوا كلكم ..
وضعوا مدائنكم ورائي
ولأكن درعاً لكم ..
« لن يفلت الأعداء والمتآمرون »
« عرفتهم ، وسيقهرون »
« وسوف تسحقهم خطاي »
حلفت ، ها آنذا وحيد ..
والرصاص عباءة مثقوبة فوقي ..
« اجعلوا تاريخكم وحقائب الأطفال في ظهري »

الرجال الآخرون
هناك يا لبنان ..
فوق سقوطهم يتساقطون
وأنت في ظهري
وألف قذيفة حولي ..
وأدخنة الحرائق والخرائب ، والجنـــون
تعانقوا ، فلسوف أصبح دونكم ..
سوراً حديديا ، وصاعقة سماويه
والقادمون سيخرجون
وإذا سقطت مضرّجا بدمي ..
فسوف تقيم بين جموعكم ذكراي
شاهدة على طرباي
هذا الفتى القروي

ـ ٤ ـ

طرباي ، فلاح من الجنوب
لا يعرف العار الذي يجلل المدينه
لا يعرف السقوط بين اليأس والرجاء
لا يعرف الخوف والانحناء
لا يعرف ابتسامـــة الهوان والضغينه
لا يعرف الجرائد الصفراء
وعلب « الحمراء »
وقشرة الحضاره
تخفي وراء سطحها
جيلا من القذاره !

— ٥ —

طرباي ، فلاح من الجنوب
لا يعرف القراءه
وذات يوم عطشت بلاده ..
واستبطأ الماء
فروّى عطش المحبوب
بدمه ..
ثم مضى يسأله الغفران والبراءه !

حوار قديم ..
عن الف ليلة وليلة

بعد قليل ..

يهبط الرُّخ الإلهي على الشوارع الحزينه

ويعقم الرجال في أروقة المدينه

يدخل كل رجل حذاءه العتيق

أو صندوقه الأجوف

أو فروته المبقَّعه

أو يستحيل ضفدعــــه

تقلّب العيون في انبهار

عبر فراغ الليل والنهار

* * *

بعد قليل ..
يا حبيبتي التي تسكنني
أنا الذي يسكن في مدائن الرحيل
في قوافل الهجرة
في سواحل الغياب
أركل باب خيمـــتي ..
وأمتطي ظهر جوادي
رافعاً راية حزني وانفرادي
موغلا في طرقات المدن القديمـــه
وفجأة ينتصب الموت أمامي
– سوف لن أرجع من دونك يا حبيبتي
وفجأة تنتصب الهزيمه
ويسقط الضوء ، وتبدو خوذة الحارس

ـ لن تمر .. أيها الغريب لن تمر

ـ سوف لن أرجع مں دونك يا حبيبتي

وبينما يوصد بابه ، أخوض

باسمك الحراس والأسوار

والبيارق المرصعه

وكالإله أشعل الحيـــاة في الأشياء

في الأضرحة الخضراء

في الأقبية المروعه

وأغرس النجوم في حديقة الظهـــيره

من أجل أن أبصر

نهر النيل في عينيك يا حبيبتي ..

وأن أشم عبق النهدين والضفيره

* * *

بعد قليل ، يزحف اللصوص

ـ ها هم أقبلوا

عرفتهم من رعشة الجنون والصخب

ـ رأسي تريدون ؟

ـ خذوه ..

فلقد أرهقني ..

أقسم باسمها الذي يسطع

في زنزانتي الآن ..

لقد أرهقني

هذا الذي أحمله بين يديَّ دائما

كأنما أحمله بلا سبب

أرهقني

أرهقني حتى التعب !

* * *

خذوه ، ان شئتم
فالقوه على سجادة الخليفه
أو علقوه رايةً في هودج الخليفه
أو قطعة نادرة
في متحف الخليفه
أو قمرا في مخدع الخليفـــــه
وامضوا ، فقد أبطأتمُ
عن موعد الخليفه

* * *

وحينما مضوا ..
تحسستك في قلبي

فالفيتك مثلي
تضحكين عجباً من غفلة الخليفه

* * *

بعد قليل ..
تتـــدلى وردة الشمس
على حوائط النهار
ويسقط المجنون شهريار
فوق سرير شهرزاد جسداً
وينتهي الحـــوار

فليبق وجهك
مشتعلا بالجمال

.. وتدورين في جسدي

غابة من عيون بدائية الرغبات

تدورين في جسدي

أنا أعرف هذي العيون

التي تتعانق فيها الهزيمةُ والنصر

يتّحد الله والموت

في مجدها الأبديِّ الحزين

أنا أعرف هـذي العيون

التى تتمرغ في سفحها قسوتي

وتسيل بحار حنيني

أنا أعرفها

كانت الأرض عذراء

والفجر لم يشتعلْ بعـــد..

فليبق وجهك مشتعلاً بالجمال

أشتعل أبداً بالجمال

أشتعل مثلها أيها الغجري المغني

.. الطواحين فارغـــة

والزوابـع مدفونةٌ في بطون الرمال

والرجالْ

معلقةٌ من ضفائرها

والسنابل مثْـقلةٌ بالأسى والحنين

وأنا فيك سنبلةٌ ، فاذكريني !

ـ ٢ ـ

كان حبك مرتسماً فوق وجهي
الشّـذى في فمي
والرؤى في عيوني
ولذا حينما أبصروني
أبصرونا معاً

ـ ٣ ـ

كان صوتك يهدر ملء، سكوني
يسكنني ، ويرصع صمتي
فإذا مرة سألوني
تخالط صوتي وصوتك في سمعهم
فأشارُوا الينا معاً

ـ ٤ ـ

وهتفت : اذكريني ..

وأنصتُ عبر حصار الزمـــان ،

وعبر سياج المكان

.. ستنفتح الآن نافذة في حديقتها

وتضيء السماءَ يدانْ

وتنبت في فمها دمعتان

ويكتم في بهوها المرمريِّ

تهدُّج أنفاسه شمعدان

اذكريني ..

فقد نلتقي ..

وتمر عصور السقوط

أحبك

سوف تمر عصور السقوط

وها نحن ذا نلتقي

وتعيشين في جسدي

مثلما عشت

أنت التي عصفت أمس بي

وهي تعصف بي اليوم

أنت التي انغرست فجأة

في سنيني ..

صنوبرةً ،أرزةً ..

يا صنوبرةً جذعها بين عينيّ مختبىء ..

غربة أنا تحت العواصف والثلج

فاخضوضري وطناً في دمي

وأسكني قمراً في جبيني
وغداً حين ترسمني سفن الريح والبحر ..
فوق مداخنها ..
فاعلمي انه قدر الريـــح والبحر
وابتسمي
يا صنوبرتي
واذكريني !

الوصايا القديمه

يومها كانت الشمس

مذبوحة في دمي

وأنا أتقاطر نشوان بالحزن

فوق الطريق

انظريني

أنا ملك الغربة المتقاطر بالحزن

فوق تراب الطريق !

* * *

البلاد التي أمطرت أنجما

وهي تغزل أردية الساقطين

بلادي
سيَّجْتُ تاريخها بجفــوني
وأشعلت روحي مبخرةً
وتقوَّست أذرعةً
وٱبتهلت إليها
ـ ٱرجعي يا بلادي .. ٱرجعي
انهم يحملون الجنائز والموت في دمهم
يكتبون الوصايا القديمه
في فجوات العيون
انهم ميِّتون
ـ ارجعي
آه لو لم يُعِدْك الصدى
آه لو لم يُعِدْك الصدى

آه ..

وآختبأت في الضباب بلادي

وتغربت في شفتيها

تغربت في مقلتيها

تغربت بين يديها

.. وأركض بالريح والموج

ثم أعود إليها

ـ البــلاد بلادي

فلماذا إذن يولد الموت

في كل أغنية في بلادي

ولماذا قباب النبيين والشهداء

مجلَّلة بالسواد !

ولماذا تجوع المحــاريث

* * *

لماذا تظلّين أجمل ؟

يأخذني النهر المُتدفّق منكِ إليا

تظلين أجمل في مقلتيا

أنا الطائر الأبـــدي ..

الذي تتغنى به المدن النائيات

الذي تتماوج فيه الموانىء والسفن الضائعات

لماذا تظلين أنت الشهادة والغيب ..

أنت النبوءة والشعر ..

أنت هي الأرض والذكريات !

لماذا؟

لماذا؟

* * *

تقولـــين أنت ..
ويفجؤني السّرُّ
أسقط في خرس الأرض
أسقط كالأرض
تحتلني كبرياء الهزيمه
ـ هل أنت في جسدي كبرياء الهزيمه
تثقب كل حوافرهم في عظـــامي
ـ هل أنت كل حوافرهم في عظـــامي
هل أنت درب غيابي ؟
شمس حضوري ؟
لون آشتعالي ؟

سيف انتقـــامي ؟
أواه .. لو كنت أعرف من أنت ؟
يا نُصُباً رائعاً من حطام البطولة
يا شفقاً من عيون التوابيت ؟
يا وجه قديسة من رُخام !

ليس الا الرحيل

غرقت في رمال الصحارى القوائم
واختلطت أوجـــه السابله
والهوى قافله
وأنا سيد القافـــله

* * *

عندما غسلتني المحبة ..
أبصرت في وجهها الله
حدقت في مقلتيه المفرغتين
من الشمس والحلم
حتى تساقط نصف القنـــاع

ـ أجبـــني

أأنت هو الشمس والحلم

أم أنت عاصفة الموت ؟

يا مضحكي .. ومثير بكائي

أجِبْني

وانحدرت نجمة الحزن غائصة في دمائي

وأعشبت بالموت في كبريائي

ـ أأنت هو القسوة الغجرية والرحمة المخجله !

أأنت هو الخنجر المتضرج في الدم

والرأس ، والمقصله

أأنت هو الظمأ اللانهائي في شفة السنبله !

أيها المتمدد في زمني ..

زمن العقم ، والثمر الفاسد

عجبا .. اننا لم نزل نتمدد في جسد واحد
عجبا .. هجرة العشب في العشب
والماء في النهر الراكد
عجبا اننا بالعذاب اتحدنا معاً
وارتحلنا معاً
وفنينا معـــاً

* * *

أيُّنا قتل الحب !
حتى تصالب وجه الجنون ووجه الارادة في الحب
أي الشقيين فينا ..
الذي أعولت أرضه في خطاه
حينما يبستْ راحتـــاه
على الحجر الذهبي..

فأورقتا زهرة المستحيل
أينا .. أنا أم أنت ؟
أم أنها شهقة الروح
في ردهات العذاب الجميل

* * *

علقيهن فوق جدائل شعرك
أو سمتي ..
وحمائل سيفي
وسرج جوادي
وبقية زادي
علقيهن فوق الضريح
الذي كان أكبر من قدري
يوم كنتِ بلادي !

مطر الليل أغرق بـــيروت
ذات القوام النحيل
والطريق القصير
الطريق الطويل
ليس إلا الرحيل
ليس إلا الرحيل !

سأصلي له زمنا

لو توهجت فيك قليـــلا ..
فلا تعجبي يا حبيبة قلبي ..
لا تجعلي شجر الوهم يملأ كل حقولك
إني يوما سأخبو
أنا مثلك أجهل ..
كيف تغطي الثلوج عيوني
فأحمل بالكُره كامرأة ..
أنا مثلك أجهل
من أين يفجؤني حجر الحب ..
أجهل كيف أجيء

وكيف أغيب

وكيف أُحب !

* * *

من أنا ؟

النار في جبهتي الآن ..

لاتلمسيني

يحترق العاشقان

لا تسأليـــني

عاصفة الدم والملح

في الفم والعين !

لا بأس بالدم والملح

في الفم والعين

يا نحـــن

يا شبحين غريبين

في حـــلم الأرض

يا قمرين حزينين

في فلك الموت

أبطأتما فارحلا

آختبئاً

آنطفئا

اشتعلا

آشتعلا

* * *

من أنا ؟

ابتسمي

قبلما تكمل النار دورتها

ابتسمي
لم يحن بعد وقت البكاء
على الحب
ـ تكمل سيدة الجنون رقصتها ـ
كان جسر الجنون قصيرا ..
وكان عميقا
وسيغدو العذاب كبيرا
ويغدو عميقا

* * *

اسمعي
الموت خلف سياج الحديقة يسمعنـــا
سأصلي له زمنا
فلقد كان لي وطنا

الشاعر المعاصر والجمهور

مثلما يستكمل عنصر الروح، حقيقةوجوده، في وجود عنصر المادة. كذلك الشاعر الحقيقي والجمهور. كلاهما ضروري، لتطوير فاعلية ذاته، وتأكيد فاعلية الآخر.

فالعلاقة بينهما - الشاعر والجمهور - ذات طبيعة جدلية قائمة على شرط التكافؤ والاحتياج.

ويصعب علينا أن نتصور معنى هذه الطبيعة الازدواجية، سواء في شكلها السلبي، أو شكلها الايجابي، ما لم نستطع في البداية،

تقييم أو تحديد مستوى كل من الشاعر والجمهور.
ان هناك جسراً ما ، من المشاعر والأفـــكار والرؤى ، لا بد أن يمتد ، وأن يظل ممتداً ، ما بين جانبين ، هما : الشاعر والجمهور . المبدع في عطائه ، والمبدع في تلقيه ، وإلا فإن سقوط هذا الجسر ، معناه سقوط المشاركة الوجدانيـة الخلاقة ، في منتصف الطريق . عندئذ لا مفر لنا من مواجهة الحقيقة . لا مفر لنا من الإجابة على هذا السؤال المطروح :

ــ أي شاعر ؟ وأي جمهور ؟

إن الشاعر في رأيي ــ وأنا أعني الشاعر العربي المعاصر بالذات ــ ثلاثة أنماط :

١ ــ شاعر ملتزم ، واع بقضية التزامه، ومتحد

اتحاداً كلياً ، مع قضايا شعبه . وقادر على التعبير عنها فنياً .

واعني بعبارة « واع بقضيةالتزامه » أنه ليس يكفي الشاعر الملتزم ، كونه متدرجاً تحت راية حركة تقدمية ، أو جبهة سياسية وطنية ، ومن ثم يأخذ في التعبير عن شعاراتها ومبادئها . الالتزام الحقيقي ، لا ياتي إلا من الممارسةالعملية واليومية الحقة ، لنضال الآخرين . كذلك ليس تكفي النصوص النظرية ، والأفكار العلمية المجردة ، لتصنع شاعراً ثورياً ، أو شاعراً واقعياً . قد تساعده على تنمية وعيه ، ولكنها لا تخلق الوعي النموذجي ، الذي يجب أن يتوفر

للشاعر المناضل ، من خلال تجربة الواقع المعاش .

٢ ـ شاعر غير ملتزم ، ولكنه يرى أن ليس ثمة ما يحول بينه وبين التعاطف مع أحداث واقعه الاجتماعي ، كلما سنحت له الفرصة ، أو ربما كلما حلا له ، أن يعلق على صدره ، وسام الانتماء إلى قضايا الجماهير .

ومن تحت عباءة هذا النمط من الشعراء ، يخرج عادة ، الشعراء الانهزاميون ، الذين يتطلعون إلى حركة الجماهير ، من شرفات ذواتهم ومصالحهم .

ويخرج الشعراء الانتهازيون ، الذين يجعلون من تعاطفهم الشعري مع الجماهير ، سلعاً تجارية ،

يطرحونها لمساومة القوى المضادة ، ومن ثم يتقاضون ثمن السكوت .

٣ ـ والشاعر الأخير ، يرى أن ذاتيته كفنّان . وأن عالمه الشعري الجمالي الخاص ، ينبغي أن يتطهر تماماً ، من أية مؤثرات أو عوامل مطروحة عليه من الخارج ، فالشعر عنده ، مخلوق سماوي يفقد قدسيته وبهاءه ، إذا لامسته مشاغل الحياة اليومية ، أو اهتمامات الناس العاديين .

إن هذا الشاعر العربي المعاصر ، ملتزماً واقعياً كان ، أو غير ملتزم في أغلب الأحيان ، أو ذاتياً محض الذاتية ـ هذا الشاعر منتم بشكل أو آخر ، إلى وجود هذة الأمة ، وإلى نضالها

المصيري ، وإلى واقعها المأساوي المعاش . أكثر من ذلك ، انه منتم اجتماعياً ،إلى قاعدتها الانسانية العريضة ، وإلى جماهيرها العاملة ، انه في تركيبها الاجتماعي المعقد، منتم إلى الطبقة المتقدمة.

واذن فإن مسألة الانتماء الاجتماعي وحدها ،لا تكفي لكي يصبح الشاعر أو الفنان ، شاعراً أو فناناً واقعياً . إنما جوهر الانتماء وحقيقته ، أن تتكون لديه ، القناعة بالانتماء ، عن طريق التجربة العملية ، وممارسة الاحساس به .

وهنا يتبلور شرط الشاعر الملتزم ، وتتأكد شخصيته ، وهنا أيضاً تتسع المسافة بينه وبين النمطين الآخرين ، اللذين أشرنا اليهما ، من أنماط الشاعر العربي المعاصر .

لا تصبح قط ، تجربة ذاتية صرفة ، أو تجربة اجتماعية مستعارة من الخارج . إنما تكون التجربة الانسانية الشمولية ، حين تتحد ذات الفرد بذات المجموع . حين تتلاشى الذات الجزء في الذات الكل ، ثم يتجسدان معاً ،في تشكيلات إيقاعية غنائية ، أو ملحمية ، أو درامية غير مسبوقة .

تلك هي تجربة الشاعر الواقعي ، أو الشاعر الثوري ـ كما أفهمها ، في أعمال بابلو نيرودا وناظم حكمت ، وبرشت وأراجون .

بقي أن نحاول استكمال شكل هذه المحاولة ، بتناول الجانب الآخر ، من جانبي القضية ، وهو الجمهور.

إن انتقال الانسان العربي ، من واقعه القديم إلى واقعه الجديد ، من واقع الركود الاجتماعي ، والاستسلام الغيبي ، الذي تتحكم فيه إرادة التقاليد ، إلى واقع التناقضات الفكرية ، والاضطرابات الاجتماعية ، الذي تحركه إرادة التحول والتغيير .

هذا الانتقال التاريخي - على أهميته - كان مجرد دلالة تومىء ، إلى أن هذا الانسان ، أصبح يمتلك القدرة على تجاوز كل تراكمات ماضيه ، وبعضها انغلاق آفاق طموحاته ، وتحنيط طاقاته الإبداعية ، داخل أطر وقوالب معينة . لقد تراكمت وترسبت على روح وجسد إنساننا

العربي المعذب المحاصر ، مخلفات أجيال كاملة ، من معطيـات الفن والفكـر الاستعماري ، ومن إسقاطات عصور العبودية والاضطهـــاد ومن الإحساسات البورجوازية المريضة ، والشعارات الثورية المسروقة والزائفة ، والجوفاء ، جميعها انحدرت اليه ، مع انهيارات شعراء المـــدائح ، وتشنجات فناني ومهرجي السلطـة ، وتأوهات سماسرة العواطف ، ومحترفي الرقص على الحبال.

واذا كان ذلك ، بعض ميراثـــه النفسي والوجداني ، في الماضي البعيد ، فـــإن ماضيه حافل بما يضاعف من آثار تلك المهزلة المأساة

إن الإفرازات السامة ، التي تتجشأ بها طوال

ساعات الليل والنهار ، مـــؤسسات وأجهزة الإعـــلام والتثقيف المضاد ، لوعي ووجدانات الجماهير العربية ، قد تركت انعكاساتها على كافة مستويات الوعي والإدراك لهذه الجماهير، ودرجة تذوقها وإحساسها الفطري الخاص :

إن غياب الجماهير العربية ، إلى مـــا قبل حزيران ، عن ساحة النضال الثوري ، الهادف إلى تحسين شروط حياتهـــا ، وتغيير ظروف واقعها ، لم يثمر قط ، على الصعيد العسكري - هزيمة الخامس من حزيران . وإنمـــا أثمر - على الصعيد السياسي ، إفلاس القيـادات المرحلية ، وعلى الصعيد الإعلامي ، فشل النظرية العربيـة

التقليدية ، وعلى الصعيد الاجتماعي ، اضطراب شخصية الإنسان العربي ،وانعدام ثقته في نفسه، وفاعليته الاجتماعية الخلاقة .

أيـــة مسؤولية ضخمة ، ملقـــاة على عاتق الشاعر الثوري ، والمثقف الشريف ، والفنان العربي الملتزم .. إذن ؟

إن الجماهير هي مصدر طاقة الفن والفكر والحياة والتاريـــخ وهي تيارات نهر الإنسانية العظيم الذي لا يتوقف .

انه مـــا من شاعر إنساني ، أو واقعي حقيقي ، إلا وجاءت بدايته من هذا المنطلق :

ضرورة استلهام الجمهور ، وإلهامه في نفس الوقت.

ضرورة إضاءة وجدان الفنان بما يقبسه منه ، وفي نفس الوقت ، يكون هو القبس الذي يضيء للجماهير الطريق .. أية صعوبة يواجهها الشاعر الملتزم ، في تحقيق وجمع هذين الشرطين المتناقضين ؟ أن يكون فناناً وقائداً ثورياً في آن واحد . أن تتوفر لمعطياته ، عناصر الجمال والحيوية والإبداع ، حتى يكون الفن. وعناصر الواقعية والإنسانية والثورة ، حتى تكون الرسالة .

إن شمس الرومانسية الحالمة قد غربت مع غروب القرن التاسع عشر ، ومن قبلها غربت شمس العصور الكلاسيكية والبرناسية والرمزية في الشعر ، والفن ، والفلسفة ، والمجتمع ، ولم

يعد أمام الشاعر المعاصر ، إلا أن يختار :

إما أن يكون ممثلاً مرفوضاً ومنتقـــداً ، لامبراطورية الماضي في جمهورية الحاضر، أو أن يكون ممثلاً لصراعات الحاضر ، في انتصارات المستقبل .

أحزان افريقيا

«سولارا»

الشخصيات الافريقية

نازاكي المغني غير المرئي (يرمز لروح الماساة)

سولارا الجارية العاشقة

بوكمان قائد ثورة العبيد في الجزيرة وخادم توربان

دينج شقيق سولارا

سافو عبد في القافلة

العرافة عجوز افريقية تقرأ الغيب

الشخصيات الاوروبية

شارلي
ادجار } تجار رقيق
ستانلي

مارك قائد سفينة

توماس حاكم القلعة

الجنرال حاكم جزيرة هاييتي

توربان أحد الملاك

حرس / نساء / عبيد
بحارة / جموع مختلفة

زمن المسرحية أواخر القرن الثامن عشر

مكانها غرب افريقيا. عرض البحر. جزيرة هاييتي

الفصل الأول

المشهد الأول

(ممر صخري شديد الانحـدار .. السكون والوحشة يخيمان على اشجار الغابة الكثيفة التي يتسلل خلالها الممر سحب قاتمـة جامدة تغطي الافق ..

الوقت ليل محتقن ..

(يخترق الصمت المقدس اصداء خطى (نازاكي) المغني غير المرئي قادماً من بعيد .. في خلفية المسرح اطلال قلعة عتيدة .. كل شيء هناك يوحي بغرابة المشهد ..)

نازاكي : عودوا أنى كنتم ..
غرباء كما أنتم ..
فقراء كما أنتم ..

يا احبابي الموتى عودوا
حتى لو كنتم قد متم

كورس الموتى : صمتا .. صمتا من هذا الطارق أبواب الموتى ؟
يا هذا الطارق ، من انت ؟ من انت ؟
أتكون الريـــح تحرك فوق الارض قوائمها البيضاء
ما شأنك ايتها الريح العرجاء بنا ؟
ما شأن الريح
ما شأن الريح ..
أتكون الشمس المشدودة
سقطت في قاع الكون
أيكون الكون ؟
ايكون الكون .

نازاكي : فقراء كما انتم
غرباء كما انتم ..
عودوا يا احبابي الموتى

حتى لو كنتم قد متم ..

كورس الموتى : ايكون العالم ؟

لم يوقظ عالمنا هذا العالم

ماذا يبغي منا

يستجدي موتى مشنوقين

يستجدي موتى منفيين

يستجدي موتى مجلودين

لم يبق لدينا ما نعطيه

اعطيناه دمنا .

اعطينا حتى اعظمنا

وجماجمنا ..

ومضينا مقهورين

لا نملك الا بعض تراب من ماضيه ..

نازاكي : فقراء كما انتم

غرباء كما انتم

عودوا يا أحبابي الموتى
حتى لو كنتم قد متم ..

كورس الموتى : كانت حيتان النهر
تلوح خلال النهر
نجوماً من فضة

وطيور الكركي البضة
تتنقل عبر الاعشاب الخضراء
وصبايا القرية يوقدن النيران
وبضعة اطفال في الماء
وتلوت احشاء الغابة
صرخت فجأة
واصفرت اشجار الغابة
هرمت فجأة
وتعالت راقصة نار القرصان
وتساقطنا قتلى ..
وتساقطنا جرحى
وتساقطنا اسرى
ورأينا حينئذ وجه السجان

كانت دنيا من أحزان
يا هذا الطارق أبواب الموتى
ضوضاؤك تفزعنا
وتقض مضاجعنا ..
فارجع لا تفجعنا
لا تحرمنا النسيان

نازاكي : يا احبابي الفقراء
يا احبابي الغرباء
كنتم أبداً عظماء

كورس الموتى : (ضجة)

يدعونا كي نرجع
يا وابور الاعمى .. يا كافور الاقرع
يا دودو .. يا مرسال .. أو تسمع .. أو
تسمع ؟
قد كنت عظيما حتى في الاغلال

(أصوات مختلطة .. ليست بضحك .. ولا بكاء . زحف أقدام وسلاسل وسياط ـ طبول حزينة تدق ببطء .)

« أغنية الغربة الاولى »

دميت أيدينا .. أرجلنا
لكنا سوف نسير ..
ومياه النهر تسير ..
وشموس الافق تسير ..
وتراب الارض يسير ..
فوداعاً يا افريقيا ..
يا رمحي المكسور
يا افريقيا .. يا كوخي المهجور
يا افريقيا يا وجهي المذعور
سأكون بعيداً عنك .. بعيداً عنك .
وتنتصب الاسوار
مـــا بين خطاي وبينك .. يا افريقيا ..
وتطول الاسفار
لكنك حتى طعم الخنجر

حتى طعم العار ..
في قلبي .. في عيني ..
يا افريقيا المفقودة .. ليـــل نهار
ونظل نسير ...
ومياه النهر تسير
وشموس الافق تسير
وتراب الارض يسير
فوداعاً يا افريقيا .. يا افريقيا ..

(تبدأ القافلة الحزينة الظهور على خشبة المسرح .. العبيـد مغلولون في المقدمة .. النخاسون في المؤخرة.. الحرس لايكفون عن الحركة .. تلوح أسوار القلعة على بعد ..)

شارلي : لاحت أسوار القلعة ..
فاسبقنا بحصانك يا ادجار
لحظات تحت القيظ الاحمر
ثم تمر القافلة التسعون

ونجتاز الاسوار

ادجار : الصمت له انياب سود وأظافر

هذا الصمت الكافر ..

يدميني .. يخنقني ..

لا تنس سلاحك ..

راقبهم .. ان عبيدك يلتفتون ..

ماذا ينوون .؟

(تحدث حركة داخل القافلة)

انظر هذا العبد المجنون

يتململ في استكبار ..

شارلي : لا تمض بعيداً يا ادجار ..

(أحد العبيد يخرج عن القافلة محاولا الهرب)

عجباً .. كسر الاغلال

يريد يفر ..

ابن السوداء (طلقات رصاص)

سافو : (العبد ساقط على مقربة)

لا يا هذا القرصان الابيض

لن أمضي ..

لن تخرجني منها .. فاقتلني .. أو اقتلك الان

اقتلني في أرضي ..

(يزحف تجاه شارلي والدم ينزف منه .. متحدياً)

شارلي : جن الملعون .. اقتله

(رصاصات طائشة)

سافو : اغرسني في أرضي بذرة

اسقطني في فمها قطرة

انثرني فوق روابيها ورقـــة

شارلي : يا ادجار اقتله .. واقطع عنقه ..

ادجار : قد أفسدت العبد الشفقة

خذ .. (طلقة أخيرة في المقتل)

سافو : (متحشرجا)

لعنة اجدادي ستطاردكم

ادجار : خذها . . (اضطراب في القافلة)

سافو : عبثا (تظل عيناه مفتوحتين رغم موته)

(يقترب شارلي منه في خوف ويدفعه بقدمه)

شارلي : هذا الثور الجبار

انهار . .

أترى عينيه الجاحظتين . .

كلؤلؤتين

اللؤلؤ يبرق يا ادجار (يلتفت ناحية العبيد المتذمرين)

في حدقات الاعين . . كل الاعين . .

(في هيسترية)

قد جنوا

لا توقف نارك

(سياط وطلقات رصاص . . تنتظم . . القافلة . يتحول الضجيج شيئاً فشيئاً الى اصداء من اغنية الغربة الاولى) .

ستانلي : ها نحن بلغنا القلمة
ذات الاسوار الصدئة
فانسوا من أنتم ؟
وانسوا ماذا كنتم .. (يبدءون في الدخول)

شارلي : أفلا احصيت عبيدك يا ستانلي

ستانلي : خمس .. خمسون .. مائة .
مائتان .. ثلاث مئات .. تسعمائة

ادجار : (وهو يساعد في دفع عبيد المؤخرة لكي يسرعوا بالدخول)
لا جدوى .. لا جدوى ..
لن تجديكم احلامكم الخرقاء

شارلي : وغداً سترون هاييتي « أرض الحرية »

ادجار : (من الداخل)
لا تصطنعوا الاعياء
فلسوف تكون لكم كل الاوطان سواء
سترون نوايانا الانسانية

(تكون القافلة قد توارت داخل القلعة في الخارج بعض الحراس) .

شارلي : (الى حارس) اقفل أبواب القلعة ..

ادجار : أخذ الحراس اماكنهم في أعلى البرج (الى حارس) احرق بعض الاحطاب ..
أتعرف يا شارلي .. وأضفنا يوماً للتاريخ ..
وكان الموج يغني في السرداب ..

ستانلي : واغلقنا باب القلعة ..

شارلي : (راقصا) في الخامس من ديسمبر .. في الساعات الاولى من يوم الجمعة ..
ثم اجتزنا بوابتها الكبرى ..

المشهد الثاني

(داخـــل القلعة . . يرى جانب من اسوارها العتيقة . احد ابراج الحراسة يبدو بوضوح . . . تتدلى مـــن فتحته ثلاثة اعلام قديمة . انجليزية ـ وافرنسية ـ وبرتغالية) . .

(في الزاوية الداخلية المرئية من السور مصــابيح غازية معلقة . . ظلالها صفراء تتأرجـــح . . في منتصف المسرح مصطبة يصعد اليها الداخلون ذات درجتين . . مائــدة شراب ضخمة تتوسط المكان .. أكواب وقنـاني مصفوفة .. الى يمين المسرح ممر ضيق تنعكس من خلال فوهته تحركات العبيد .. بما يوحي للمشاهد أنهم هناك .. الى الشمال زقاق قـــذر .. حين يرتفع الستار نسمع اصوات القادمين في طريقهم الى المائدة ..)

شارلي : (يدخل راقصا)

الصائد عاد وجعبته ملأى وسفينته تتراقص
في الميناء فلنشرب .. ولنطرب . . ولنرقص
كيف نشاء .
رقصا .. وغناء .. حتى الفجر
الليلة نحن ملوك القرن التاسع عشر

كورس العبيد : (يردد نفس المقطع . .)

شارلي : يا ماري لا تأتي . .
(يقلد في المقطع التالي صوت زوجته في حوار سابق) خذني لا تأتي .. فالترحال يتطلب بعض المال . وانا لا املك في هذي الدنيا الا السروال .. وبكت ماري .. وبكيت . وتصافحنا واتيت .. وعلى كتفي جوال فاذا انا عال العال .. والجنة في افريقيا تهمس لي وتقول تعال .

كورس العبيد : يردد المقطع الاول

شارلي : والآن ترى ماذا ستقول اوربا حين اعود

ماري ستقول اشتقت الى عينك وانت بعيد..
وتقبلني مرات
في الشارع او في البيت ..
لارى كم كانت مخلصة لخيالي .. منذ نأيت ..
يا ماري عفواً .
لكني يوماً لسواك سعيت ..
فلنشرب ولنطرب .. ولنرقص كيف نشاء

كورس العبيد : (نفس المقطع)

شارلي : عفواً .. لم تكتمل القصة ..

كورس العبيد : حدثنا يا ملك الغابة .. عن آخر اسعار البورصة .

شارلي : عن آخر اسعار البورصة ؟

ادجار : لم تشرب حتى اللحظة نخب سيادتنا .
نخب الرجل الابيض .
يشربون متعانقين في حركة دائرية

شارلي : الاول حين انقض
والآخر حين انقض

كورس العبيد : فلنشرب .. ولنطرب ..

(مع الايقاعات الاخيرة للاغنية ، تأخذ المصابيح المضيئة في الانطفاءواحدةواحدة.. حتى تتلاشى الاثنان معاً (الاضواء وصدى الاغنية) كأن شيئاً سيقع .. فجأة تشتعل شمعة معلقة على باب الممر المخصص للعبيدويأتي بطيئاً باكياً من داخله صوت سولارا الجارية.. تغني)

سولارا : كالسحب تأتون .. كالريح تمضونا
يا ايها الحيرى اين تروحونا
وهل تعودونا ..

كورس العبيد : (يردد نفس المقطع في خمول وانكسار)

سولارا : ستحزن الامطار وتنحني الاشجار
وتبطىء الانهار .. لانكم لن ترجعوا
وكل شيء حولكم .. يخبرني بأنكم لن ترجعوا

احد الافراد : يا قاربي الذي ربطته إلى الصخور

كورس العبيد : ربما لن اعود ..

سولارا : لانكم كالسحب تأتونا ..
وفي جناح الروح تمضونا ..
سكرى تغنونا ..
حيرى تنوحونا ..
ولا تعودونا ..

(كورس العبيد ينشد جزءاً من المقطع السابق .. تقطعه ضحكات هيستيرية تنفجر بها فجاة افواه التجار المشدوهين الذين كانوا قد جمدوا كالتماثيل .. ببطء يتحركون كالتماثيل تجاه ممر العبيد .. الشمعة الموقدة على بابه تنطفىء فجاة) .

ادجار : كانوا يغنون ..

شارلي : (صائحاً) اسكتوا ..
ائتوني بتلك الجارية
لاجلدنها بهذا السيف وهي عارية

كورس العبيد : (ما يزالون داخل الممر)
يجلدها بالسيف كيف
يجلدها ؟

ادجار : (معترضاً) .. بالسيف كيف ؟

شارلي : هكذا .. (ترى الجـــارية خارجة من الممر مغلولة) يتجه شارلي نحوها شاهراً سيفه .

ادجار : (غاضباً) دعها فليست بعض ما تملكه ..

شارلي : املكها ..

ادجار : املكها انا..

شارلي : (مغيظاً) قلت ابتعد (مهدداً)
لو اقتربت خطوة ..

ادجار : (مستنكراً) تقتلني..

شارلي : (مندفعاً نحوه) سأقتلك .. (يتشابكان في معركة بالسيوف) .

كورس التجار: الرجلان الابيضان يقتتـلان
كورس العبيد : كأن افعوانـاً حول افعوان
كورس التجار: السيدان الابيضان
كورس العبيد : ايهما سينتصر ..
كورس التجار: اقواهما سينتصر ..
كورس العبيد : يقتتلان
ايهما سينتصر ..

(تتداخل اصوات المجموعتين .. تكون مجموعة العبيد قد اكتمل ظهورها على خشبة المسرح .. ينطلق صوت نفير)

حارس : (مهرولا) الحاكم
الحاكم جاء

توماس : (يتقدم مقتحماً) ما الذي يدور ها هنا (نحوهما) قفا قفا قلت قفا (يقف بينهما)
ضعا السيوف جانباً

ادجار : يزعم انها له ..
توماس : لا تغضبا ..
شارلي : لكنها جاريتي ..
ادجار : كذبت بل جاريتي ..
شارلي : انا ..
ادجار : انا ..
توماس : انتظر .. سوف نرى .. (يتأملها) ما اسمك؟
سولارا : سولارا ..
كورس العبيد : مكسوة نارا ..

توماس : (في دهشة) حسناء زنجية شبة سماوية .

كورس العبيد : اكرمتنا دارا ..

توماس : السحر في ليلة . . الموت في قبلة ..

كورس العبيد : لم تعرف العارا ..

توماس : (لنفسه) يا قلب توماس اتئد ..
تفضحني لا ترتعد ..
كانما يغسلني بحر نعاس ..

كورس العبيد : يا حاكم القلعة يا توماس ..
هناك تحت غابة الكاكاو ..
كنز ماس ..

كورس التجار : ماذايقولون؟

كورس العبيد : وفضة وقصر من نحـــاس
سوف ندلكم عليه
سيروا جميعاً اليه
اغتصبوه
وخذوه ...
ودعوها فهي ليست لأحد

شارلي : (شاكياً) يا حاكم القلعة ..

توماس : كم دفعت فيها ؟

شارلي : قطعتين واريداربعة
فان يردها تركتها له
وان ابى فانني سيدها معه ..

توماس : (لادجار)
ماذا ترى ؟

ادجار : قبلت . .

شارلي : يا سيدها . .

كورس التجار: (يرفعون كؤوسهم)
نخبك يا سيدها . .

توماس : امضِ اذا شئت بها
(يخرج ادجار وراءه سولارا مغلولة مطرقة الرأس)

كورس العبيد : (في انكسار) ها هو ذا يمضي بها

توماس : جميلة كأن روح امراة
بيضاء في اهابها ..

كورس العبيد : هل ستقتلونه ؟

شارلي : (صارخاً) ابعدوا

كورس العبيد : لا تقربوه . .

ستستحم الغابة الميتة . .

بالدماء ان لمستموه . .

حارس : (يهوي عليهم بسوطه)

لا تتغابوا افسحوا الطريق .

كورس التجار: افسحوا الطريق

كورس العبيد . اين تأخذونه . .

شارلي : اخرسوا

كورس العبيد : (يتراجعون) اصبح وجه الموت والسياط دونه .

(يتوسط دينج الحلقة . . في السادسة عشر من عمره عارياً الا من خرقة بالية في وسطه)

توماس : (يتأمله ضاحكاً)

مراهق ما زال

شارلي : نصف آدمي . . هل لك اسم

كورس التجار: اسمه العبد

كورس العبيد : اسمه دينج .

شارلي : تكلم . .

يا ايها الاخرس كالظلمة . .

عيناك . .

تقولان كثيراً

(يهزه بغضب)

لا تزدني غضباً . .

كورس التجار: اضحك .. تبسم او

تألم . .

كورس العبيد : ليس بخائف .. وليس ابكم

لكنه لن يتكلم ..

شارلي : (يجلده بسوطه)

سوف ترى اذن

لعل صوته يزحف في دمك

يحفر مجراه الى فمك ..

(دينج يقع على ركبتيه .. يظل متشحاً بصمته)

كورس العبيد : (في هياج يغني)

اغنية الصياد الصغير ..
عند بحيرة القمر .
تنام اطفال التماسيح مغطاة
باوراق الشجر .
ومن بعيد يهدر السيل
على الصخور
فامش ببطء يا صغير .
امش ببطء وحذر .
امامك انحناءة الممر

* * *

ما زالت الغابة نائمة
فامش على اصابعك .
سحابة من الزراف قادمة ..
يسوقها الجفاف ..
لا تتحرك خطوة اياك ان ..
تخاف ..

شارلي : الروح بيضاء .. ولكن ..
الجسد ..

كورس التجار: سيدها فاز بها .

كورس العبيد : سولارا ليست لاحد

(صرخة تنبعث من وسط كورس العبيد .. شارلي يشير الى مصدر الصوت)

شارلي : تعال انت ..

كورس العبيد : (في فزع) اينا تريد ..

شارلي : (مؤكداً على العبد دينج)
انت ..

كورس العبيد : لن تمسوه ..
اختبىء يا دينج ..

شارلي : انت ..

كورس العبيد : نحن دونه
(يلتفون حوله في اشفاق)

حارس : ابعدوا ..

آخر : دعوه ..

سوف تمر قرب موضعك ..

* * *

شد اليك القوس مرتين ..
شده ناحية الضفاف ..
اقذف بنبلتك
بحربتك ..
اياك ان تقع
الغابة الليلة .. مالها ..
كأن شيئاً سيقع ..

* * *

من اي افق يهبط الالم
هذا الضباب دم ..
ايدي الشياطين مطلة من
الكهوف ..
قرونهم صفوف ..
عيونهم مغروسة على القمم .
آلهة الغابات والنهر عدم ..
الم .. الم ..

(مع انتهاء الاغنية ، يضع توماس يـده على كتف شارلي ، ويهزه برفق ..)

توماس : كفاك ياشارلي
ورفقاً بك .. لا رفقاً به ..
اقتله .. او ابق عليه
فهو لك .
لكن تذكر ايها السيد
ان العبد ان هلك .. يخسر ..
روحه فقط ، وانما يخسر
ماله الذي ملك .

شارلي : جروه في اغلاله ..
جروه ريثما يفيق ..

توماس : (مبتعداً به)
كأسك اين ؟

شارلي : صمته اغاظني..

توماس : (يناوله كأساً) كأس نبيذ طيب
يطفيء بركان غضب ..

شارلي : صدقت (يشرب)

توماس : عمر هذي الخمر الف سنة
وسنة

شارلي : (متوجهاً الى مجموعة التجار)
يا للعجب ..
ما بالكم لا تشربون (يدخل حارس)

الحارس : (مضطرباً) العبد لا يريد ان يفيق ..

شارلي : اسقوه بعض الماء (لكورس التجار)
اغرقوا كؤوسكم (ضاحكاً بجنون)
ولتنتفخ بطونكم سكرا ..
(ضوضاء)
وهذي الكأس في صحة تجار الرقيق ..
صحتنا نحن شموس الكائنات ..
(يبدأ في الترنح سكرا)
نحن الآلهة .. (هياج)
نعم ألسنا آلهة؟
ألا توافقوني ؟

(توماس يضع يده على كتفه محاولاً تهدئته)
وانت يا عزيزنا ..
يا صاحب السعادة الحاكم ..
توماس ..
بامرنا ..
نحن اقمناك هنا ..

توماس : (بغضب) افق .. افق ..

كورس التجار : قد اغضب الحاكم ..

شارلي : (مترنحاً) هل غضبت ؟
سوف نصير اغنياء .
نملك الحياة كلها .. انا وانت ..

توماس : (لكورس التجار)
ابقوا كما انتم (لشارلي) ..
تعال يا شارلي معي ..

شارلي : اريد ان اقول كلمتين
كلمة واحدة .. بل كلمتين ..

توماس : ايها الحراس (يتوافدون من ارجاء المسرح)

شارلي : اين ذاك العبد اين ؟

(مشيراً الى كورس العبيد المنكمشين جانباً)

توماس : ايها الحراس ..

شارلي : (مقاطعاً) ادخلوا الكلاب ..

في صحتي (يأخذ جرعة من كأسه)

وصحة الحاكم (مشيرا إلى كورس التجار).

ثم انكم .. (يكون كورس العبيد قد اختفى داخل الممر)

شارلي : هل دخلوا (للحراس)

قولوا لذاك العبد ..

انني اريد ما اريد .

وانني اشتريت روحه بقطعة من النقود ..

وانني ارفض ان يموت (يبصق تجاه الممر)

وانني اكرههم جميعهم ..

وطالما حلمت انني صنعت ..

من جلودهم..

اشرعة تمخر بي جزائر اللؤلؤ والياقوت ..

لكنني ارفض ان يموت ..

ارفض يا توماس ان يموت ..
ارفض ان يموت ..
ان يموت ..
(يسقط اعياء بين ذراعي توماس)

توماس : (لكورس التجار)
افرط في الشراب ...
(للحراس)
احملوه خارجا ..
(لكورس التجار)
اعلم ان القرد والغراب يمقتانني (ضاحكا)
لا تقلقوا (يخرجون بشارلي)
لعلهم لا يخطئون الدرب فالضباب يموج في
شوارع القلعة تائها ..

شارلي : (صوت من الخارج .. مختلطا بضحكات)
يا ايها الكلاب ..

توماس : ما زال يهذي .

شارلي : (من بعيد جدا) ايها الكلاب ..

توماس : يحسن ان ادركهم ..
عودوا الى شرابكم ..
(صدى من بعيد .. ينظر من الباب)
هناك .. من هناك .. (نفس الصدى)
اقتربت .. (صوت نفير سفينة من بعيد)
يطوف في شوارع القلعة كلها .
(يعلو صوت النفير)
ها انذا آت (يخرج)

كورس التجار: (في ضوضاء) يقول انتهت السهرة ..

احدهم : حسناً ..

آخر : نعيدها ثانية ..
لنعد الكرة ..
(يساند بعضهم في سكر واضح . . يدورون مغنين) .
الصائد عاد .. وجعبته ملأى وسفينته تتراقص في الميناء .

احدهم : (يقف غير مميز الوجه وظهره الى زملائـه في وضع مضحك)

يا سيداتي .. سادتي ..
كان احتفالا رائعا .. ثم انتهينا ..

ها نحن مثلما تشاهدون .. (يشير الى زملائه السكارى وهم في حركاتهم الجنونية)بين مناظر شائهـة مروعة .. (يشير الى واحد منهم سمين)

الفيل يلقي جسمه تحت حذاء الضفدعـة والبجعة ..
على سرير ملكها مضطجعة ..
وقسوة المشاعر السقيمة المبقعة ..

والقيم الممزقة ..
والشهوات النزقة ..
فهكذا نحن ..
نثير سخطكم وبغضكم ..
وربما احتقاركم ..

اذا وقفنا بينكم .. بدون اقنعة ..
فلتسمحوا لنا . .
يا سادتي الصغار والكبار ..
لكي نواري شهقة الضعف ..
وذل الانكسار ..
ان ننزل الستار (صارخاً مهرولاالى الداخل)
ستار .. ستار ..

« ستار الفصل الاول »

الفصل الثاني

المشهد الاول

(في جانب من السفينة قمرتان متجاورتان .. التي الى يسار المسرح مظلمة تماماً . . والاخرى يتخللهـا ضوء خافت يكشف عن محتوياتها .. سرير ترقد فوقه سولارا نصف مغطـاة .. باب القمرة مغلق من الخارج .. هناك كوة صغيرة مغلقة ايضاً . .)

سولارا : (تتقلب في فراشها كمن يحلم حلماً مزعجـاً)
يمايا .. يمايا [1]
سأرقص الليلة من اجلك يا امي .
وتغسل المياه جسدي .

---

(١) آلهة الخصوبة عنـد زنوج هاييتي رموزها السفن والحيوانات البحرية والخصوبة هي هنا الامومة .. وعند الافريقيين ام الآلهة .. ام كل الاشياء .

وتنبت الجذور في يدي .
فباركيني . .
انه يغمرني . . يغمرني . .
يوشك ان يقتلني . .

يا ويلتاه . .
آه . . .
(تهب جالسة في فزع)
الرعد يبكي في دمي . .
الرياح ملء شفتي . .
اكاد ان يغمى علي .
لو انهم كانوا هنا . .
(تنزل من السرير)
اين هم ؟ خائفة انا . .
اين انا ؟
(تتحسس جسمها)
كان يريدني . . .
(تسترجع حواراً مفروض انه دار بينها
ادجار)

مثلك لا يوجد في المدينة
هذا السواد العبقري زينة . .

ثم دنا مني خطوتين .. وارتعش ..
ومد في مذلة يده . .
وكان في عينيه جوع وعطش ..
اذهب اليهن فانهن اولى بك ..

وسوف ابني لك قصراً عالياً من الرخام
قبته تخترق الغمام
.. لن تبني ولن اكون لك ..
.. وتصبحين سيدة . .

ومن اكون الآن ؟ نصف امرأة بيضاء ..
نصف سيدة؟

.. وتصبحين زوجة الملك (تضحك)
قف ايها الابيض .. قف ..

انك مثلي خائف ..
انك ترتجف ..
انك ترتجف ..

(تضحك بوحشيه)
ايتها الجارية الحمقاء ..
غير انني صارعته .. عضضته في قدمه .
وحين ضمني بصقت مرتين في فمه ..
حتى تعبت وتعب
(تتنهد)
ثم استدار في انفعال .. وذهب ..
كان يريدني..
(اصداء من بعيد تردد سولارا)
يا اخوتي بعيدة اصواتكم ..
من اين تأتيني .. بعيدة ..
بطيئة .. كئيبة . بليدة .
لكنني اسمعكم .. هل تسمعونني ؟؟
اكسروا قيودكم ..
ها انذا .. ها انذا .
(تضرب باب القمرة بجنون)
يا اخوتي اسمعكم ..
لن يذهبوا بنا ..

ستغرق السفينة ..
ليست بلادنا ..
غابتنا هي المدينة ..
لو تسمعونني .. اواه ..
انني هنا سجينة ..

(تدفع باب الكوة فينفرج قليلا .. يتسلل شعاع من الضوء .. تسمع اصوات الكورس بوضوح)

(اغنية البحارة السود)
لو سألت عنا بلادنا ..
ولو تصايحت في اثرنا الغابات والقوافل
فقل مقيدون في السلاسل ..
ما بين ميت وجريح
سجونهم ماء وريح ..
يمايا .. يمايا . يمايا .
نمشي ولا نمشي ..
ندور .. والسياط حولنا تدور ..

من سأم الى سأم ..
وجهتنا العدم . .
ييمايا .. ييمايا .. ييمايا .
كان لنا اغنية ..
وكان ينبوعاً .. وكان دارا ..
امس الذي توارى ..
اواه .. يا سولارا ..
ييمايا .. سولارا .. ييمايا .

سولارا : (بفرحة وقلق)
ها انذا .. ها انذا ..

كورس العبيد : سولارا .. هل انت هنا ؟
(بغضب وسخرية)
راقدة على فراش الرجل الغريب
الابيض الذي اهان قومها ..
قد منحتـه جسمهـا ..
ترقـد في فراشه ..
تأكل من طعامه ..

العار لها . .

اذلنا . . اذلها . .

(بجدة)

كنـا نغني لـك . .

هل كنت تغنين له . .

كنا نغـني لك . .

ننزف الدماء . . ونغني لك .

نشرب الدموع . . ونغـني لك .

واضياع اغنياتنا . .

قتلتنا . . قتلتنـا .

بانكسار)

اذن فلم . . لم يبتلعك الموج .

كيف تكونين له . . ماذا وجدت عنده ؟

الدفء . . وماذا بعده ؟

سولارا : (باكية)

ماذاتقولون؟

كورس العبيد : نسيتنا . . نسيت دينج . .

سولارا : يا دينج .. انني انا ..

كورس العبيد : انك لست انت ..

سولارا : انني هنـا سجينـة ..

كورس العبيد : (في تردد)

سجينة

سولارا : سجينـة ..

اسألكم يا اخـوتي ..

كيف غدت من بعدنا غابتنا الحزينة ..

وشمسنا التي وراء هـذه السفينـة ..

كورس العبيد : سولارا عنـده سجينـة ..

الطفلة العذراء عنده سجينـة ..

سجينة .. سجينـة ..

(تتشابك الاصوات والانفعالات .. وقع سيـاط وزمجرة الحراس ، سولارا تسقـط باكية .. تنغلق فتحة الكوة . يسود الظلام. تضيء القمرة المجاورة .. نرى ادجار جالساً على احد مقعدين قديمين مطرقـاً برأسه ..

المقعد الآخر خال .. شارلي يجيء ويذهب في انفعال .. مارك قائد السفينة متكيء بلا مبالاة على جانب السرير يحشو غليونه .. لحظات صمت تقطعها خطوات شارلي)

شارلي : ثلاث ليلات .. وانت ؟
ما الذي اقول يا ادجار .. هل جننت ؟
هل تحبها ..؟

ادجار : احبها ..
شارلي : (بخبث) كجارية ..
ادجار : (بهدوء) كامرأة . .

شارلي : (باصرار) كامرأة سوداء ..
لا انكر انها وثيرة ودافئة
(باستدراك) او هكذا تبدو (**مقهقهاً**)فقد تظن . .

ادجار : لا اظن غير انها . .
شارلي : (مقاطعاً) انتظر فكلنا نحبهن .

وربما نرقص فرحة بهن ..
وربما قاومننا تظاهراً وحيلة لانهن
يجدن ضعف شوقهن حينما نغضبهن .
وهن لا يجهلن انهن لسن غير ما يخفين
في ثيابهن (ادجار يتململ)
هن جوارينا يبتن في فراشنا لاننا نريدهن ..
(ساخراً) حتى اذا ما انطفأت روعتهن ..
وسقطت زهرتهن .

ادجـــار : (متضايقاً) دعني اوضح ..

شارلي : لا تقاطعني .. فالنساء شهوة قديمـة .. وقـد
تقبح في عيوننا التي امتلكناها ..
وتجمل التي لم نمتلكها بعد ..

مـــارك : (بلا مبالاة) لو شئتما فسوف احكي لكـما
حكاية ..
كنت انا شاهدها في هذه السفينة ..
وكانت الشحنة الفي ذكر من العبيد الاقوياء
وثمانين امرأة ..

وحسنت في ناظري جاريتان ..
اولاهما طويلة .. ولدنة ..
كأنها حين تسير شمعدان ..
منتفض الالوان ..
او بنت سلطان عظيم الشان ..
وهي وان لم تتجاوز اثنتي عشرة سنة ..
متزنة ..
وذات شهقة ملونة .. (ضحك)
وكانت الاخرى قصيرة سمينة ..
بطيئة كبقرة ..
ثقيلة كجذع شجرة (ضحك)
وذات ليلة افقت بعد سكرة مفتخرة ..
فلم اجد بجانبي التي اتيتها ..
هل تعلمون اين كانت حينما وجدتها .

شارلي : (بفضول) اين وجدتها ؟

مـارك : في حضن امها ؟

شارلي : ومن تكون امها ؟

مـارك : الاخرى . .

شارلي : أتعني ان الاثنتين كانتا ضجيعتين لك ؟

مـارك : وكنت دائماً . .

شارلي : (مقاطعاً) وما الذي صنعت بهما ؟

مـارك : شددت امها اليها ، ثم اغرقتهما
في الاطلسي ليلتين . .
وحين اخرجتهما . . أتعرفان كيف كانتا ؟

شارلي : كجثتين . .

مـارك : بل بقايا جثتين . .
(ضاحكاً) الام مزقت وحوش البحر
صدرها .

شارلي : وبنتها ؟

مـارك : لم يبق منها غير عظم الرأس واليدين !
(يضحكان – ادجار صامت)

شارلي : ادجار ما بالك لا تضحك . .
لا تقول اي شيء

تدفعني للظن بك ..
كأنما تخاف من شيء تقوله فترتبك ..

مـارك : قـــل اي شيء (ادجار يقف . . يتحرك كالنائم)

شارلي : (يتابعه) سحرته الجارية .. (ادجار يحدث نفسه)
يكلم الهواء .. يضحك كالماخوذ في غباء ..في كبرياء يا له من كبرياء ..

ادجـار : (فجأة) قف .. ايها الابيض . .
لن تلمسني . .

شارلي : أكاد ان اصعق .. ادجار استحال بهلوان ..
أسامع يا مارك ؟

مـارك : (بدهشة) يا للداهية .. ادجار ..

شارلي : لا توقظه ..

مـارك : (بعطف) ايها الفتى المسكين ..

شارلي : (بحقد) انها هيه ..

ادجـار : (مستمراً في حالته)

ومن اكون الآن ؟ نصف امرأة بيضاء؟نصف
سيدة !
ليس لعطرك الخرافي مثيل ..
اذ تلبسين التاج فوف رأسك الجميل ..
وتصبحين زوجة الملك ..
عبدك يا سيدتي انا ..
انا الملك .. انا الملك ..
(يلتفت حوله . شارلي ومارك يراقبانه)
كأنني جننت . .

شارلي : بل سحرت ..

مـارك : لا عليك منه ..

ادجـار : ما الذي كنت اقوله !

مـارك : (يناوله كأساً) اليك .. لا تعبأ بما قلت ..
ابتلعها مرة واحدة ..

ادجـار : هل قلت . .

شارلي : (ساخراً) منذ لحظة كنت جلالة الملك

(يقهقه .. ادجار يقذف بالكأس)

مارك : (برفق) نحن صديقاك ..

شارلي : (ساخراً) وما دام الملك ليس هنا ..
فشد قامتك ..

* * *

وخذ (ضاحكاً) خذ راحتك ..
واحلم بما شئت ..

مارك : وقل ما شئت ..

شارلي : قل انك لم تعد كما كنت ..
وان تاجر الرقيق مات ..

مارك : لقد تغيرت ..

شارلي : تغيرت كثيراً ..

ادجار : (نفس حالته) اتركاني معها .. اريد ان
اتبعها ..

مارك : ادجار مجنون بها ..

شارلي : ادجار مات ..

(ادجار يخلع قبعته ويحني رأسه باحترام كأنما
يستقبل شخصاً مهيباً)

ادجـار : ايتها المليكـة المقـدسة ..
اتيت ضارعاً إليك..
تحت جلال قدميك ..
جفون عيني وسادة ..
ووجنتي سجادة ..
(شارلي ومارك يتجهان نحو الباب يفتحانه..
تعلو من بعيد اصوات كورس العبيد)
سولارا .. سولارا ..

ادجـار : ايتها المليكة المتوجة
في عرشك العاري
مليكة الزنبق والنار
العطر والجمال والسكون
والحب حيث تكون ..

كورس العبيد : سولارا .. سولارا ..
(يخرج ادجار)

شارلي : (مصفقاً بيديه في حركة يائسة)
قد ارضعته سمها
وثأرت من قلب ابيض اذل قومها . .

كورس العبيد : سولارا .. سولارا ..

مــارك : كانما اسمها حريق ياكل السفينة ..

شارلي : الموت للساحرة اللعينة ..
الموت للساحرة اللعينة ..
(يخرجان .. يسود الظلام ..)

ستار

المشهد الثاني

(الوقت ليل ٠٠ جانب من سطح السفينة ٠٠ حركة مجاذيف واقدام تروح وتجيء ٠٠ ظهور ثلاثة من العبيد تبدو وتختفي في ضوء القمر الغارب ٠٠)

العبد الأول : (مشيراً الى السماء)
السحب الضاحكة الحزينة

العبد الثاني : (محدقاً في نفس الاتجاه)
سوف تهب الريح ٠٠

العبد الثالث : لن تمضي بعيداً هذه السفينة ٠٠
(حارس يقترب)

الحارس : تثرثرون الليل كله .. النهار كله ..
يا سفلة .. يا قتلة ..
سحقاً لكم .. الاتوجعكم افواهكم ..
(يهوي عليهم بسوطه)
تزحزحوا .. استحوا ..
اجتهدوا .. تحركوا .. لا تشتكوا ..
لا تقفوا .. لا تقعدوا .. لا تضحكوا ..
سمعت كل ما تهامستم به ..
ابتعدوا .. ابتعدوا ..
(يستعدون متظاهرين بالعمل
ريثما يختفي الحارس)

العبد الأول : ستملأ الرياح كل الاشرعة ..
ثم تشقها ..
حتى تصير كالنبال ..
وسوف تسقط الحبال ..
مقطعة .. مقطعة ..

العبد الثاني : ونحن هكذا .. سواعد واذرعة ..
تثقلها القيود والاغلال ..

العبد الثالث : (هامساً) يزحف بعضهم تجاهنا ..

العبد الأول : من هو !

العبد الثاني : لا تلتفتوا فقد يروننا ..
كأنه دينج .. هو الصغير دينج .. دينج

العبد الأول : اسرع ايها الصغير ..

العبد الثاني : ضعه في ظلك .

دينج : انني نذير ..
فسوف يقتلونها ..
رأيتهم يقتحمون سجنها ..
ويصرخون .
لقد سحرته .. فجن ..
يا ايتهـا الساحرة اللعينة ..
سحرته .. وسوف ترجعينه ..
سترجعينه ..
سترجعينه ..
وكان ادجار يهز رأسه ويبتسم .
وصرخت سولارا ..

العبد الثالث : (بفجيعة) صرخت ..

دينج : ليس وراء العار موت ..

وليس بعد الموت موت ..

ثم مضوا مثل المجانين ..

وعاد الصمت ..

العبد الأول : الحارسان يرقباننا ..

يقتربان نحونا ..

اعط لهم ظهرك .. واعمل مثلنا يا دينج ..

(يقترب الحارسان)

الحارس الأول: ضبطتكم .. لا تنكروا ..

ماذا تدبرون .. ؟

العبد الأول : ننظر في السماء ..

الحارس الثاني: (ساخراً) في السماء ؟ (يحدق)

لا شيء سوى رقعتها الزرقاء ..

تمتد .. وتمتد ..

بغير حد ..

الحارس الأول: (ساخراً ..) يا ايها السادة ..

بل يا سادتي المنجمون ..

هلا تفضلتم فقلتم بعض ما لا تجهلون
ما كان او ما سيكون ..
وما الذي كان وراء هذا المعبد الضافي السكون ..

الحارس الثاني: (بتهكم) هل تنطقون او تضربون .. ؟

العبد الأول : (بعناد) ذلك « اجوى [1] » صاحب الرياح
في موكبه الرهيب ممتطياً مركبة اللهب . .

العبد الثاني : يسوقها بنفسه ..
العبد الثالث : وخلفه وزيره المهيب ..
مفجر البروق والرعود . .

الحارس الأول: (مرتعداً) اخرسوا . . فانكم تخرفون . .
العبد الأول : انظر فقد تماوجت قرونها الحمراء ..
حتى سحابات السنين الواقفة ..
تحركت . .
العبد الثاني : تمشي وئيدة الخطى ..

---

(١) إله البحار ، ورموزه المجداف والسمك والقارب .

العبد الثالث : تركض . .

العبد الأول : انها تجيء . .

العبد الثاني : انها هي التي تقول . .

العبد الثالث : تلك العاصفة . .

الحارس الثاني: (برعب) العاصفة (يجري)

الحارس الأول: (مضطرباً) وتقرأون الغيب ثم تصمتون . .
وتحلمون في سكينـــة . .
يا ايها الكلاب (يلوح بسوطه . . تهب الريح . .
يركض مذعوراً)
ويلكم (صارخاً)

الحارس الثاني: عاصفة على السفينة . .

أصوات : عاصفة على السفينة . .
انزلوا المـــراسي
الرياح السود والسحاب . .
لفوا الاشرعة .
القوا الى المياه كل الامتعة . .

عاصفة على السفينة
عاصفة على السفينة

(ضوضاء .. صرخات مذعورة .. اقـدام تركض في جوانب السفينة .. نلمح خـلال الزحام شارلي ومارك يركضـان في اتجـاهين متضادين .. يتحدثان عن بعد)

مـارك : (بينه وبين شارلي مسافة وزحام)
لم ار قط مثل هذه الرياح الجائحة ..

شارلي : لو كنت قبطاناً ..

مـارك : (يخاطب شخصاً اسفل السفينة)
تقول انكسر المجذاف .. (ضوضاء)

شارلي : كنت شممت الرائحة ..

مـارك : (في حديثه الجانبي)
هذا هو الثالث ؟ (ضوضاء)

شارلي : يحمل القباطنة
اجهزة فوق رقابهم

مــارك : يغوص ذيلها •• (ضوضاء)

شارلي : ويحمل الربابنة ادمغة من الذهب ••

مــارك : في الجانب الشرقي •• (ضوضاء)

شارلي : لا أخشى على نفسي ••

مــارك : ثقب اي ثقب ؟ (ضوضاء)

شارلي : اخشى على تجارتي ••

مــارك : الحديد والخشب (ضوضاء)

شارلي : لو انهم فروا • •

مــارك : الصناديق (ضوضاء)

شارلي : خسارتي هي العطب ••

مــارك : واأسفاه (ضوضاء)

شارلي : واأسفاه

مــارك : امتلأ الخزان بالمياه (ضوضاء)

شارلي : كيف اموت قبلها ••

مــارك : سيغرقون لا محالة (ضوضاء)

شارلي : (تدفعه الريح فيسقط) النجاة ..

مــارك : ما شأننا بها (ضوضاء)

شارلي : (صوت متهالك) النجاة ..

مــارك : ليس لنا مفر (ضوضاء)

شارلي : ادجار .. يا ادجار انقذني ..

مــارك : انكسر .. هل انكسر ؟ (ضوضاء)

شارلي : (من بعيد) ادجار ..

ادجــار : (من بعيد) سولارا ..

كورس العبيد : سولارا .. سولارا ..

(العاصفة تشتد)

(اغنية السفينة الغارقة)

الموت والانسان والقدر الساخر

والبحر يا ربان ليس له آخر

فاذهب مع التيار

وعــد مع التيــار

اقدار .. اقدار

الموت في القلاع

والريح في القواقع

يا سمكات القاع

عدنا الى المنابع

امطار امطار

الريح عطور

والبرق جسور

للنور والنار

للنور والنار

اجوى اجوى .. اجوى

* * *

(تهدأ العاصفة رويداً رويــداً .. الاصوات
تتلاشى نهائيا – يسود صمت وظلام .
نسمع انيننا مكتوما .. يحدد لنــــا موقــع
شارلي)

شارلي : (متوهما انه مات)

يا رحمة الله علينا ..

نحن موتى لم نعد نملك شيئا في يدينا . .

كانت الدنيا لنا ثم اختفت حيث اختفينا . .

(يسمع دبيب خطى مارك فيهمس لنفسه)

حارس النار اتى فلأستعد ..

(يلتقط انفاسه)

ايها الحارس لا اطمع في الجنة ..

فالجنة مثوى الصالحين ..

الشرفاء الطيبين ..

وانا كنت كما تعلم .. وغداً اي وغد ..

كنت نخاساً وضيعاً من وضيع ..

وخليعاً من خليع ..

ويسوع . .

كان في مرآتي العمياء تمثالا سجيناً في كنيسة .

للخرافات وللوهم فريسة (يتنهد)
يا الهي .. كم انا خجلان من وجـه يسوع ..
(مارك يكـتم ضحكتـه ..)

مـارك : تبت يا شارلي .. ؟

شارلي : (مرتجفاً) لقـد تبت ..

مـارك : وان نحن اعدناك اليهـا مرة ثانيـة ؟
هل ستتوب ؟

شارلي : سأصلي . .

مـارك : ثم مـاذا ؟

شـارلي : وسأغدو طيب القلب .. نظيف اليد ..

مـارك : ايه .... ثم ماذا ؟

شـارلي : وسأغدو مخلصاً لامرأتي ..
(مارك يقهقه)

مـارك : يا للكذوب.
انت لن تخلص الا لصفاتك ..
وملذات حيـاتك ...

شارلي : (يفتح عينيه في دهشة)
مارك ؟

مارك : كم اضحكتني ..

شارلي : منذ متى جئت .. ؟

مارك : لقد جئنا معاً ..

شارلي : جئنا معاً للاخرة ؟

مارك : الآخرة .. (يعود للضحك)

شارلي : ألم نمت ؟ (مارك مستمراً في الضحك)

مارك : نمت .. لقد القت بنا ريح الجحيم ها هنا ..
(يتناول حفنة تراب ويدنيها منه) هذا
تراب الارض .. ذقه .. شمه ..
وهذة الشمس كنوز من سنا ..

شارلي : والبؤساء السود ؟

مارك : لن تبكيهم فالوقت فات ..
نجا القليل منهم .. والنصف مات ..

شارلي : النصف مات .. ؟

مارك : الريح والرعب وامواج المحيط ..
والمرض الفتاك والجوع واحلام السقوط ..

كا ن الذين آثروا السقوط (يضحك
يهوون مسرعين •• مسرعين ••
يا لخسارة القيود (شارلي يبكي)

شـارلي : يا للمساكين انتهوا ••

مـارك : (مندهشاً) تبكي على ايهم ؟
على الذين سقطوا ..
ام الذين آثروا السقوط ..

شـارلي : ابكي لان موت عبد واحد ••
خسارة لي •• ليس لي وحـدي ..
لكل تاجر ••
وكل ابيض مغامر
وكل سيد مقامر
ابكي على العبيد ••
ابكي على القيود ••

ستـــار

الفصل الثالث

المشهد الاول

(طريق للسابلة .. على مسافة منه ينتصب كوخ قديم امامه جذع شجرة جافة .. الوقت غروب .. تجيء من ناحية اليمين فتاة صغيرة تسحب عنزة .. حين تقترب من الكوخ تمسك العنزة بكلتا يديها .. تنادى)

الفتـاة : يا جدة .. يا جدة

العـرافة : (من الداخل)

من يـدعوني

الفتـاة : ضيفـان على بابـك

(يظهر من نفس الناحية دينج . وآخر يعرج .. تدخل الفتاة رأسها من فتحـة الباب) ..

ضيفان يريدانـــك ..
ليسا من سكان القـــرية
(حركة في الداخل .. احـدهم يخـرج ليلقي نظرة على الرجلين لا ينبس بكلمة) ..
(تومىء اليهما الفتاة فيدخلان)

العــرافة اهلا بهما
اهلا بكما ..
اهلا يا ابنائي
(ينحشران بجانب جمـــع من النسوة والرجال المجتمعين حول العرافة العجوز .. تتقد نار في حفرة قريبة منها)

الاعــرج : جئنـــا
(تسكته العرافة بحركة من يدها)

العــرافة : (لاحدى الموجودات)
القيتها في احد الانهار ..
(تعطيها شيئاً ملفوفاً في خرقة)

عند القمر الرابـع ..

ثم اغتسلي عند السابع ..
وخذي هذي الشمعات السود ..
اضيئيها في المقبرة المهجورة عند الظهر
واعيدي كلماتي
لا تنسيها ..
فلسوف تفيد ..

(تتحرك في جلستها تجاه امرأة اخرى.
تاملم الاولى حاجياتها وتخرج.
تقترب الثانية من العرافة تهمس في اذنيها
بضع كلمات .. تعود الى مكانها)

العرافة : يا بنتي هذا حق الاسياد علينا ..
ان شاءوا شئنا
واذا امروا أذعنا ..
وتكون المرأة منا ، غاسلة ، ومربية ..
وتكون امه ...
وتشيل دلاء الماء قبيل الفجر
وتوقد نار القدر
وتسقي الثور ..

وتكنس ارض حظيرته، وتنظفه ..
ثور السيد مثل السيد مخدوم حتى القبر ..

المرأة : (في خجل)
وتكون مدلكة

العرافة : وتكون مدلكة للسيد (تسعل)
لكن محتشمة (تهمس)
ما دمنا يا بنتي لا نملك ان نعصاهم
فلنظهر لهم الطاعة ..
كل الطاعة
الحكمة قالت ان نصبر
فلنصبر
صبر المقهور على القهر ..
شجاعة
قومي واطيعي
(تقوم وتخرج .. تقترب من العجوز العرافة امرأة ثالثة زائغة العينين)

المرأة : ابني لم يخطىء

اخطأت امرأة الكاهن
دفعته للعمل الشائن ..
اغرته .. ثم شكته ..
ورموا بابني لكلابهم المسعورة
جلدوه ، ثم رموه مجلودا ..
لكلابهم المسعورة

اهدوا يده المقطوعة لامرأة الكاهن ..

(توجه الحديث الى الموجودين)

لو كان لديكم ما تزنون به الاشياء
لادركتم معنى الاشياء
معنى العمل الشائن
معنى امرأة الكاهن

(يهزون رؤوسهم دون كلام)

العـرافة : (هذا دين..
هذا دين ..
فدعيه يرقد يا اختاه قرير العين

(تنصرف الى دينج والاعرج)
جئتم من اقصى الارض

الاعـرج : اتينا مقهورين

العـرافة : انا اعرف ..

دينج : لم يؤلمني يا جدة عض القيد
على لحمي .. يؤلم روحي ..
يؤلمها اني عبد .. (بحيرة مريرة)
لم اعرف اني عبد

العـرافة : وانا لا اعرف يا ولدي

الاعـرج : ويقول السيد ما لا نعرفه

العـرافة : ما نعرفه لا يعرفه السيد

دينج ويقول الكاهن ان الله لهذا يخلقنا
واذا خالفناهم فسيحرقنا

العـرافة : كذب الكاذب ..
كذب الكاذب ..
فالله بلا حاجب ..

الله هو النهر الصاخب ..
وهو الليل الغاضب ..
وهو الشمس المنظورة..
والافلاك اللامنظورة..
والريح المنشورة ، والروح السارب
الله هو الايماءة والحركات ..
هو الرمز المنقوش على احداق الطير ..
واشجار الغابات ..
الله هو الكلمات ..

(العرافة تحرك جمرات الموقدبعصـــا في يدهـا)

دينج : ومتى نرجع؟

العـرافة : (لا ترفع رأسها عن الموقد)
يوماً ما يا ولدي . .

دينج : الواحد منا يرجع حياً .. او ميتاً .. ؟؟
اكلت موتانا هذه الارض الملعونة

اصوات : أكلت آلاف الاجساد المدفونة
هذي الارض الملعونة

(ترفع العوافة يدها فيسكتون)

العـرافة : لم تأكل منا غير الاجساد المسكينـة ..
لم تأكل غير الاجساد
لم تأخذ غير رماد..
اما الارواح فتنتظر الميلاد ..

(دقات طبول بعيـدة .. تجتذب الوجو ناحية الصوت .. العرافة تميـل الى الامام . تبتسم)

امضوا .. امضوا ..
هذا هو صوتهم يتوهج في الابعاد ..
هذا صوت الاجداد ..
الموتى يختالون ..
الموتى يبتسمون ..
الموتى والاحياء هناك ..

امضوا .. امضوا ..

(يخرجون واحداً فواحـــداً .. تحرك نار الموقد .. تلقي فيـــه بعض الاعشاب .. تتوكأ على عصاها .. فتغلق الباب .. يسود الظلام .. تعلو دقات الطبول .. تتوتر شيئاً فشيئاً .. يظهر المسرح مظلماً .. لحظات .. درجات الضوء تتغير تدريجيـــاً يبقى افراد الكورس جميعاً في الظل . . مصطفين حول خشبة المسرح ..

في منطقة الضوء سولارا مقعية تئن .. ودينج يقف بجانبها ..)

دينج : (متوتراً)
سأقول لهم ..

سولارا : (بانكسار) لكنـــك لن تقسوا .. لن تكرهني .. فأنا اختك ..

دينج : اختي لا تجتريها .. اي دم ملعون يجمعـــني

بك .. لا يجمعني بك الا خزيك يا اختي ..
لا .. لا حسبك ..

سولارا : (بعويل) اختك .. اني اختك ..

دينج : القيت ظلامك فوق سماواتي ..

سولارا : اقتلني لو شئت ..

دينج : اتمنى لو لم .. يا لشقائي .. الارض تدور،
الارض تدور .. اعني يا رباه ..

سولارا : اخي ..

دينج : تتشقق تحتي الارض .. دعيه مخنوقـاً ،
مخنوقاً .. هذا الصوت ..
يعذب روحي هذا الصوت ..
(يهوي على ركبتيه)

سولارا : انا عارك ..

دينج : عاري .. من .. من يغسله ..؟
لن تغسل عاري كل مياه الصمت ..

سولارا : اركلني .. ابصق في وجهي ..

ابصق في وجهي حتى الموت ..
اقتلني انت ..
اقتلني انت ..

الكورس : سولارا .. سولارا ..

دينج : (ينهض مكتئباً ويلف حولها)
سأقول لهم ..

سولارا : ياويلي .. ياويلي ..

دينج : لا .. لا .. سأقول لهم ..
أأقول لهم اختي .. معبودتهم ..
حبلى .. حبلى ..
لا أقدر .. لا أقدر .. لا ..

(يذهب تجاه الظل فيخفيه الكورس)

سولارا : (تتوجع) عاري في بطني ..

الكورس : لا نسأل عما في بطنك ..
بل نسأل عما في قلبك ..

(تلتفت فلا ترى شيئاً)

سولارا : عاري في قلبي . .

الكورس : لم يا سولارا ... ؟
كيف رضيت بهذا العار . .

(تلتفت فلا ترى شيئاً)

سولارا : لم أعرف ان ثمار الحب بلا اشجار . .

الكورس : (مستنكراً)
الحب . . الحب . الحب . . الحب ، الحب
(تخرج احدى افراد الكورس نحوها وتقذفها بشيء في يدها . . ثم تقعي بجوارها في منطقة الضوء)
لا يخجل مثلك . . (تتبعها اخرى)
لا يتورع مثلك . . (تتبعها اخرى)
شيء كجبال من وحل في عينيها
(تتبعها اخرى)
داست دم زنجـــي
(تتبعها اخرى)

خنقته بكفيها

(تتبعها اخرى)

تلدين النار الميتة ..

لن تلدي غير الاحقاد .. وغير الرعب

يا افعى النهر المنبوذة ..

يا منبوذة . .

لم لا تلدين الآن ؟

لديه الان . .

ضعيه الآن

هذا السم المتجمد في ثدييك ..

ضعيه الآن

ضعيه الآن

ضعيه الآن

(يطبق الكورس عليها)

سولارا : (تدور حول نفسها صارخة)

يادينج .. يادينج ..

اقتلني انت ..

اقتلني انت ..

(تظهر العرافة وخافها دينج)

العـرافة : كفوا عنها ..

كفوا عنها ..

ملعون من يدنو منها

ملعون

ملعون

(يتراجعون مشدوهين)

قومي ياسولارا

العـرافة : قومي يا سولارا .

سولارا : من يغفر لي ؟

من يغفر لي ؟

العـرافة : قومـــي يا سولارا

انا اغفر لك

الكورس : (بغضب مفاجىء)

لا .. لا اتئدي اياك حذار

العـرافة : ومن غيري ؟

الكورس : اياك حذار

العـرافة : انا الغفـران

الكورس : ونحن النقمة

العـرافة : ابنـائي

الكورس : نحن الاضغان

العـرافة : انتم بعضي

سولارا : امي

الكورس : الملعونة

العـرافة : يا ابنائي القسوة لا تجدي
تقسون عليها

الكورس : لا غفران لمن اخطأ

سولارا : لم اخطىء .. اقسم لم اخطىء

الكورس : ها هي ذي تكذب
غارقة في الوحل وتكذب

سولارا : لم اكذب

الكورس : (ساخراً)
نحن الكذابون اذن

احدهم : هيا اعترفي

سولارا : يا امي

الكورس : اعترفي

(تنتفض سولارا واقفة في تحد . . تدير وجهها محدقة في عيونهم فيتراجعون .. تحدق فيهم واحداً واحداً وهي تدور في الحلقة .. صمت ثقيل تقطعه سولارا)

سولارا : ساقول لكم

الكورس : قولي

العرافة : تقسون عليها

الكورس : قولي

امرأة : انا أكره أن أسمع (تحاول الخروج)

دينج : وأنا لا أقدر

العـرافة : (للمرأة)
اين ؟ قفي
يا دينـج ارجع
قولي يا بنتي (للكورس)
قد حاكمتم فاستمعوا

سولارا : كانت ايديكم في الاغلال
وكنت انا ابكي ..
وسمعتم ثم تباطأتم
وصرخت بكم ..
وسمعتم ثم تباطأتم
ودفعت الحائط بعد الحائط ..
واستصرخت بكم ..
بك انت .. وانت .. وانت
ولم يسمع احد منكم ..
فلقد كانت ايديكم في الاغـلال
وغرقت انا في اللعنة
حين غرقتم في الاوحال
أترون ؟ (تكشف عن أثر سياط)

هنا أثر النيران . .
وهذا نقش السوط
وكنت أناديكم ، ويداي مقيدتان
ولم يسمع أحد منكم
وتمدد في روحي حزن قاتل
وذهبت فلم أرجع

وغشيت فلم أسمع
وسمعتم . . لا لم يسمع أحد منكم
فلقد كانت أيديكم في الاغلال

الكورس : كفى يا سولارا

احدهم : وكأنا لا نعرف

آخر : كنا نعرف

آخر : واذن فالاثم لغيرك يا سولارا

الكورس : الاثم لنا
واخجلتنا

نحن البلهـاء المسؤولون
نحن الطلقاء المسجونون
أخطـأنا يا سولارا
نحن المسؤولون
هبينا غفرانك
غفرانك يا سولارا

سولارا : يا أحبابي

العـرافة : يا أبنـائي

ستار

المشهد الثاني

(حجرة في قصر الحاكم الفرنسي بجزيرة هاييتي . .شارلي ومارك وادجار وتوربان ملاك العبيد يتحـــدثون .. الاثاث طراز العصر .. خريطة ضخمة معلقة على الحائط المقـابل .. بوكمان عبد توربان وسائق عربته يقعي عن بعد في انتظـــار سيده .. بين الحين والحين يمر الحاكم وزوجته بخطوات بطيئة جيئة وذهاباً .. فيبدوان للحظات امام باب الحجرة) .

ادجـار : (متضجراً) أو لم يسام من زوجتـــه هذا الجنرال ..

شارلي : (ضاحكاً) لو كانت حسناء لسئمنـاها .. ونفضنا أيدينا منها وهجرناها ..

وبحثنا عن اخرى كي تخلفها في الحال

مـارك : اخفض يا شارلي من صوتك . .
قد يسمعنا ..

شارلي : لن يسمعنا

(يميل عليه قليلا)

في سرك هذه الكلمة فاسمعهـا همساً
جنرالك طفـل مغرور
رسموا في جبهتـه شمساً ..

توربان : هذا قذف ، وأنا لا أسمح لك ..
أن تسخر من جنرالات فرنسـا ..

(يمر الجنرال وزوجته ثم يتواريان)

شارلي : جنرالات فرنسا .
لن تعرفهم مثلي
فاسمع ما تجهله عنهم
(يقف ويتحرك)
شارات حـرير ..

ونياشين تتـالق فوق قبور ..
وسيـوف من ذهب وقصور ..
وخيول مطهمة وعطور ..
ونساء من بللور
ويشب لهيب الحرب فيختبئون ..
كل في مخدعه .. وتموت النار
في ايدينا نحن التجار ..
فتعود الاوسمة البراقة
والرايات الخفاقة ..
ويعود الجنرالات كما كانوا بالامس ويصبح
نابليون القائد نابليون

(يدخل الجنرال يحييهم بايماءة مقتضبة.. يتجه للخريطة ويأخذ في تأملها .. انفـاس غليونه تتصاعد)

شارلي : (لمارك) اشعل لي غليوني ..
هذا التنباك الفاخر اعطته ارضي ..

لم تنتج مزرعة مثله ..
الفا عبد ماتوا قبله ..
خذ هذي الحكمة عني ..
أشجار التنباك الجيد
كبساتين العنب الجيد
لا يدركها الا الذوق الجيد
وانا يرضيني حكم الجنرال

توربان : الجنرال لديه امور تشغله ..

ادجــار : ربما القى الثوار القبض على الملك الهارب . .

شارلي : ملك مسكين . .

ادجــار : بل انت المسكين . .
تتحدث في اشفاق عنه مثل الملكيين
ونسيت ضحايا الشعب ..

شارلي : الشعب انا ..
(يسحب سيفه ويهب واقفاً)

الجنرال : اجلس يا شارلي

ادجـار : الشعب الثورة ..

شـارلي : قد طفت بلاد الدنيا ، حتى شبت ..
وشابت اشرعتي ، وغرقت مراراً ثم
نجوت ..
وجمعت عبيدي من أقطار الارض وعدت ..

الجنرال : أجمهوري انت ؟

شـارلي : أتعني الجمهورية ان جميـع الناس ملوك ..

الجنرال : تعني ان الانسان اخوك ..

شـارلي : (مستاء) تعني ماذا أيضاً ..

الجنرال : والناس سواسية ..

شـارلي : (متهكماً) والحر الابيض مثل العبد الاسود ..
والمقدام الفارس كالصعلوك ..
اذن فالجمهورية قد تعني الفوضى ..
وأنا من اجل عبيدي لا ارضى
انا ارفضها رفضا ..
انا اكفر بالجمهورية

الجنرال : من يجرؤ ؟

شارلي : (ثائراً) اني اعلنها باسمي واسم التجار جميعاً

ادجار : لست معك

توربان : لسنا تبعك

مارك : لا يا شارلي لسنا تبعك ..

شارلي : (في هيستيرية) واسم عبيدي اني سأمزق رايتها .. وسأحمي عرش مليكي .. عاش لويس .. دمي .. وولائي .. للملكية

الجنرال : حتى لو مات لويس السادس عشر ؟

شارلي : لا اسمعكم ..

الجنرال : قد مات لويس السادس عشر ..

شارلي : لا افهمكم ..

الجنرال : وانهارت اعمدة الباستيل

وتغير وجه الجيل ..
ولن يتوقف صوت الرعد

شـارلي : (منهاراً) وماذا بعد ؟
وماذا بعد ؟

(يطل من الباب عبد يلبس الزي العسكري
يشير اليه الجنرال فيقترب مضطرباً ..
يهمس بكلمتين ..)

الجنرال : (للعبد) قف لا تذهب ..
(لتوربان) هل بين عبيدك يا توربان ..
عبد يدعى بوكان ؟

توربان : (مشيراً باعجاب الى بوكان)
هو أقربهم عندي ..
ومدبر اعمالي ..
والسيد من بعدي ..

الجنرال : بوكان .. اجب ..

توربان : هل ثمة من شيء حوله ..

الجنرال : (للعبد) قل له ..

العبـد : (زائغ العينين) يتآمر .

توربان : ماذا تزعم ؟

العبـد : يـدعوهم كل مساء

توربان : (صارخاً) يدعو من ؟

العبـد : يدعو عبدان القرية . .

توربان : (صارخاً) يدعو من ؟

العبـد : انتم بؤساء . .

انتم غرباء . .
تسقون تراب الارض دماً . .
ويموت الواحد منكم دون ثمن . .
ونساؤكم في أحضان السادة
جوع وخنوع وقواده
صمت العبد اراده . .

توربان : (منفعلا) كذب منسوج جئت به

بوكمان معي أبداً لا يتركني
مشدود في ظلي . .
يسقيني يطعمني بيديه . .

يغطيني بهما من نار الظهر . .

وريح الفجر . .

ويمضي الليل يغنيني . .

وينام على قدمي ..

وينسج في عيني حدائق احلامي ..

بوكان الرائع

(ينظر اليه باشفاق)

سيفي ضد العالم . .

كلبي خدامي ..

وتريد تلوثه عندي . .

قل من اغراك به ..

قل انك مأجور كي تحرمني منه ..

قل انك تكذب .. تكذب . .

قل لا تكتم شيئاً ..

لا تكذب .. لا تكذب . .

(يستولي على العبد ذعر هائل)

(فيتلجلج ..)

الجنرال : قل من اغراك به ..

شارلي : لا تغضب يا توربان ..

ادجار : الصمت الفاضح .. عنوان الكذب الفاضح..

شارلي : هذاواضح..

مارك : ولكي لا يمضغ يوماً هذي الاكذوبة . .

شارلي : ولكي يرضى السيد توربان
مر يا جنرال بمن يتولى تأديبه ..

(الجنرال يصفق بيديه)

العبد : (مرعوباً) التوبة يا جنرال
الرحمة يا جنرال

شارلي : (مؤنباً) التوبة والرحمة .

ادجار : سيان العبد الخائن والعبد المأجور ..

العبد : التوبة يا جنرال ..
الرحمة يا جنرال

(يدخل ثلاثة عبيد مسلحين)

الجنرال : في السرداب الخلفي ضعوه ..

العبـد : التوبة والرحمة . .

شـارلي : الكاذب اولى بالنقمة . .

(يجرونه خارجاً)

العبـد : يا جنرال الرحمة ..

الجنرال : لا تغضب يا توربان ..

العبـد : (من بعيد) الرحمة ..

الجنرال : لا تغضب ..

شارلي : (مواسياً) لا تغضب ..
لن يرحمه الشيطان ..

(تدخل جارية الجنرال)

الجارية : مولاتي واقفة بالباب ..

توربان : (لبوكمان) اعد لنا العربة

الجنرال : سأجيء سريعاً (لشارلي)
بعض الاحلام المضطربة ..

قد تصبح ناراً ملتهبة . .
تقتات بلحم يدك . .

وتعيش على جسدك
ان لم تمتد الى الرقبة

(متهكماً) يا شارلي العصر (وهو يخرج)
تقبل تعزيتي في سيدك . .
المشنوق لويس السادس عشر ..

(يكفهر وجه شارلي .. يحني جبهته
ويخرج الآخرون وراءه . يسود صمت وظلام . .

وتأتي برهة يعقبها هدير امواج .. وأزيز رياح
مع الضوء الباهت نشاهد صخرة مطلة على

الشاطىء . . شبح يتحرك حولها . . تلوح
رأس بوكمان وتتبين ملامحه وهو يتسلل حتى
يقف في موازاة الصخرة) .

بوكمان : (يناجي نفسه)
بوكمان العبد

بو كمان النعبد

تعال .. اذهب .. سر خلفي .. اقعد

قبل يد سيدتك ..

ضع هذا الجير الابيض في وجهك ..

افتح شفتيك . .

الفجوة ضيقة .. صفق بيديك ..

اصبغ عينيك ..

اضحك ..

اضحكني . رفه عني ..

اجعلني . اضحك . ها ها ها ..

اضحك .. ها ها ها ..

(يسكت فجأة .. يتحرك خطوة)

اخرس ..

تتسكع مثل الدودة بين شقوق الحقل ..

تتجشأ .. تأكل .. تستلقي كالبغل

الاطباق اتسخت . .

البسني النعل..

الشنق لمثلك اجدى ..

الكي على الافخاذ .. الشمع الذائب حتى

النصف ..

القتل .. القتل ..

اسألني ..

لا تسألني ..

المالك كالخالق ..

والعبد الخالص لا يسأل ..

دقوا عنق العبد الناطق ..

مارق .. مارق ..

ملتاث العقل ..

قد مات زمان الطبل ..

ومات الطبل

(صدى طبول بعيدة)

الكذابون ..

الكذابون بكل لسان
فالطبل الانسان الاسيان
ما زال يصيح .. ينوح ..
الطبل يد ولسان ..
طبل الشعب الغاضب ..
فليسكت كل فم كاذب ..

(دوي رياح وامواج)

وليسكن صوت الريح ..
وليهدأ ، صوت الرعد ..
انا لم اتكلم بعد ..

(يصعد فوق الصخرة)

هذا انا يا توربان ..
يا حكام هاييتي
يا تجار هاييتي
يا اشراف هاييتي

الفرسان المشهورون

ذوو القامات العاج ..

الهامات المرفوعة كالابراج ..

الصيادون تماسيح الامواج

هذا انا بو كمان الاسود ..

حجر في الطاحونة ..

تمثال طيني آت من افريقيا ..

للخدمة والزينة ..

لا اعرف لي اسماً او وطناً ..

عمري من منذ سنين شاحبة ..

وسنين كان ..

عشراً وثمان ..

اسمي لا اذكره ..

الصياد الاول اسماني بو كمان ..

الثاني أثقل روحي بالصلبان ..

والثالث .. كنت الحزن الثالث ياتوربان ..

كنت الموت الثالث ..

وتبعتك . .

ارفل في عريي ..

اتجمل في عاري . .

اتأنق في قيدي . .

وقهرتك في صمتي ..

ودفنتك في رعبي . .

وقتلتك .. ثم قتلتك، ثم قتلتك في حقدي

كم من مرة . .

وانا اتبسم في وجهك ..

اغزوك .. واحتلك . .

وارقع حيلا من احقادي لك . .

وأزين مشنقة سوداء ..

بلونــك في عيــني ..

وارقب كيف تموت . .

وكيف تموت . .

وكيف يعانقها مثلك ..
يا توربان .. العادل ..
ماذا يسوي عدلك ..
وانا ظلك ..
ان تسطع شمسك تخفيني ..
او تركض ريحك تطويني ..
العدل الحق هو القدرة ..

هو عدل الحرية ..
العدل هو الثورة ..
فلتشتعل الثورة ..

(افواج من الزنوج تفد من اليمين واليسار .. يحملون مختلف الاسلحة والمشاعل والطبول والابواق .. بوكمان ينضم اليهم .)

الجميع : العدل هو الثورة ..
العدل الحرية ..

بوكمان : لتكونوا احراراً ..
موتوا او عيشوا احراراً ..

الجميع : العــدل الحرية . .

العــــدل الحرية..

بوكمان : (لأحدهم) يجري نهر من احزانك . .

في هذي الارض . .

ابحث عـن منبـع احزانــك

احدهم : (لبو كمان) الشعلة في الساحة ..

والحاكم في قصر الضيعة..

آخــر : جبلان من الفولاذ يحيطان الضيعــة ..

بوكمان : (لآخر) ابدأ بالاشجار الضخمة ..

النار على القمــة..

الجميع : فلنقتحم القاعة ..

بوكمان : دنت الساعة

الجميع : فلنقتحم القاعة . .

آخــر : عودي يا سولارا..

آخــر : نضبت بئر الطاعة ..

بوكمان : عودي ياسولارا..

لا تستبقي الرؤيا..

هيــا

(تختلط الشعارات .. تتموج الجموع . .
طلقات رصاص . . الطبول وهج النيران . .
الضوء يخفت ويتوهج .. اصوات الثورة ..)
سقطـت
والحاكم مات

اصوات : العدل الحرية
عـودي يا سولارا
سقطت . . لا تضطربوا
يد من تلك اليد

اصوات : ممسكة بعصا الحرية

هرب التجار
النـار النـار

سولارا : لنمت من اجل الحرية

الجميع : العدل الحرية

العدل الحرية

لتضيء .. ولتتـألق ..
سقطـت . .

هربوا

طعنوها .. قتلوها

لتضيء .. ولتتألق

احرق .. احــرق . .

لفوها .. لفوها ..

في الراية

التجار انهزموا

المــلاك انهزموا

لن تنهــزموا

يا فجر الاحلام الكبرى

لن تنهزموا

(تخفت الحركة والضوضاء شيئاً فشيئــاً

يسود الظلام ..)

النهــاية

ثورة عمر المختار

عمر المختار

كلمات قليلة عن المسرح والمسرحية

« كان من المفروض بمسرحية « عمر المختار » ان تعرض خلال الموسم الفائت في جمهورية مصر العربية. وكان من المفروض ان يخرجها نبيل الالفي . ثم حدث ان اختلفت معه ، نتيجة الاختلاف في تحديد مفهوم العمل المسرحي » .

نظرة كلاسيكية واخرى تقدمية

كانت وجهة نظر المخرج انه لا بد من تحديد ابعاد شخصية البطل المسرحي ، وتسليط الاضواء عليها ، بشكل يحدد

اهدافها ومعطياتها الاجتماعية والانسانية ، انطلاقاً مـــن نظرة المسرح القديم التي تشدد على ان يكـون البطل محـــور العمل المسرحي ، وان تكون كافة الحوادث والشخصيات التي تتحرك حوله مؤدية كلها الى تأكيد هذه الضرورة .

« تلك كانت نظرة المخرج ، وهي نظـرة علمية دون شك ، إلا انني لم اكن اوافقه كثيراً على ضرورة ان يكـون للمسرحية بطل واحد . وانما يمكن ان تشيع صفـة البطولة المسرحية في اكثر من شخصية واحدة . واعتقد انني في ذلك ، كنت أستند ايضاً الى رأي مسرحي اكثر تقدماً . فالبطل الاسطوري القديم الذي كان يمثله المسرح الاغريقي (مثل سوفوكليس، واسخيلوس، واوريبيدس) او ابطـــال شكسبير ايضاً (مكبث ، هملت ، الملك لير . . .) ، هذا البطل اصبح في نظرة المسرح الحديث غير مهم تماما ، بمعنى ان التطور الاجتماعـــي والسياسي الذي شهدته حركة الشعوب نحو التحرر ، اصبح الحركة الاجتماعية في الواقع الانساني ، تلك الحركة التي لم تعد تتحكم فيها القوانين

القديمة . ومن هنا اكتسب المسرح الحديث صفة توزع شخصية البطل وانعدام الفردية على خشبة المسرح . ومن هنا ايضاهبطت قيمة الابطال المسرحيين القدماء ، بل تلاشت نهائيا بحيث احتلت المسرح نماذج شعبية اخرى تمثل القطاعات الجديدة في المجتمع الانساني (مثلا : مسرح سارتر ، صموئيل بيكيت ، يونسكو). وربما بشكل اكثر وضوحاً وتفهما للدور الحقيقي للمسرح كما عند بريشت » .

« نخلص الى ذلك في ان وجهة نظري حول عمر المختار هي: صحيح ان المختار كان يتزعم الثورة الوطنية ضد الطغيان الايطالي الفاشستي ، الا ان البطل الحقيقي هو الشعب الليبي نفسه » .

ونظراً لوجهة النظر هذه ، نرى ان عمر المختار يظهر في المشهد الاول من الفصل الاول . ويختفي ليعود ويظهر مجددا في المشهد الثاني من الفصل الثالث ، ليقود حركة الثوار الوطنيين في احدى المعارك حيث يصاب بالجرح الذي اوقعه في الأسر . ثم لا نراه الا في المشهدين الاخيرين من الفصل الثالث ، وهو

يواجه المحكمة الـــتي شكلت خصيصاً لمحاكمتــه . ومن ثم نرى مشهده وهو جثة هامدة تتأرجح بحبل المشنقة . اما باقي المشاهد والفصول فتتحرك خلالها نماذج عديدة من الشخصيات الثورية الليبية ، وشخصيات اخــرى ايضاً تعطينا صوراً مكثفة مـــن المجتمع بكل تناقضاته ، بسلبياته وايجابياته .

« المؤلف »

شخصيات المسرحية

الشخصيات العربية الرئيسية :

ام سلمى	العجوز العميـاء
سلمى	ابنتهـا
زهير	شاب ليـبي ثائـر
عمر المختار	قائد الثورة الوطنيـة
راشد	مستشار عمر المختـار
المنصور	مساعد عمر المختـار
عبد السلام	احد المجـاهدين

الشخصيات الاجنبية الرئيسية :

الجنرال غرازياني : قائد القوات الفـاشيستية

المجندة جينا

الكولونيل ماليتي

شخصيات ثانوية: الامام ، الملازم ، الخائن

نكرات :

ضباط ، جنود ، مجـــاهدون ، نساء ، الجلاد ومساعده ..

المكان : الجبل الاخضر بليبيا

الزمان : من ١٩٢٥ الى ١٩٣١

(سكون وظلام يسودان المسرح والصالة ..

قبل أن يرتفع الستار ، عن سور « غرازياني » الهائل المشيد من الأسلاك الشائكة ، والممتد امتـداد الأفق الصحراوي .. تدوي عدة طلقات رصاص قادمة من بعيد ..

تنحدر أشعة فجر شاحب ، تلمح في ضوئهـا ، حارسين مسلحين ، يتسكعان في مواجهـة السور .. يتحدثان همساً ..

أحد الحارسين ، وهو الجندي «روبرتو» لم يتجاوز العشرين، قصير القامة ، نحيل ، يحرك بين الحين والحين ، قدميه المثقلين ، بحذائهما الضخم ، علواً وانخفاضاً .. كأنه يخشى أن تلتصق بهما، احدى حشرات الصحراء

الآخر ، وهو الجاويش « ماركو » في الخمسين من عمره ، طويل ، نحيل ، محدودب الظهر ، قليلاً الى الامام .. حـين

يتحدث الى زميله ، يبدو متصنعاً ومغروراً ، ومثيراً للاشمئزاز ..)

ماركو : قف في ثبات أيها الجندي

روبرتو : ماذا؟

ماركو : قلت ، قف معتدل القامة ، مثلي هكذا ..
(يشد قامته حتى يبدو في وضع مضحك ..
روبرتو يحدق فيه ببلاهة)
نحن جنود الأمبراطورية العظمى ..
التي تمتلك العالم .. روما .. انها تنظر في فخر الينا الآن .. في زهو وإعجاب بنا
(يصرخ مغنياً) من أجل عينيك الجميلتين ،
نحن ها هنا ..

روبرتو : (في هدوء)
من أجل عيني من ؟

ماركو : (ماضياً في غنائه)

لان لون عينيها هو الزرقة ..
فالسماء زرقاء
وروح الشمس زرقاء
ولون البحر أزرق

روبرتو : ماركو أتعني ؟

ماركو : لا تقاطعني (يستمر في غنائه)

روبرتو : سئمت الحرب والغربة

ماركو : (لا يسمعه)
من أجلك يا روماي ..
يا سيدة الدنيا (يبعد مغنياً)

روبرتو : (يلحق به)
وزوجتك ؟
أين هي الآن ؟ وطفلك الصغير
والعجوز الطيبة ؟ أمك
والبيت الذي أخبرتني عنه ، وراء الضفة

الفصل الأول

المشهد الأول

(سكون وظلام يسودان المسرح والصالة . .

قبل أن يرتفع الستار ، عن سور « غرازياني » الهائل المشيد من الاسلاك الشائكة ، والممتد امتداد الافــق الصحراوي .. تدوي عدة طلقات رصاص قادمة من بعيد ..

تنحدر اشعة فجر شاحب ، نلمح في ضوئهــا ، حارسين مسلحين ، يتسكعان في مواجهة السور .. يتحدثان همساً ..

أحد الحارسين ، وهو الجندي « روبرتو » لم يتجاوز العشرين ، قصير القامة ، نحيل ، يحرك بين الحين والحين ، قدميه المثقلتين بحذائيها الضخم ، علواً وانخفاضاً .. كأنه يخشى ان تلتصق بهما ، احدى حشرات الصحــراء .

الآخر ، وهو الجــاويش « ماركو » في الخمسين من عمــره ، طويل ، نحيل ، محدودب الظهر ، قليلا الى الامام .. حــين

يتحدث الى زميله ، يبدو متصنعـــاً ، ومغروراً ، ومثـــيراً للاشمئزاز ..)

ماركو : قف في ثبـات ايهـا الجندي

روبرتو : ماذا ؟

ماركو : قلت ، قف معتدل القامة ، مثلي هكـذا ..
(يشد قامته ، حتى يبدو في وضع مضحك ..
روبرتو يحدق فيه ببلاهة)
نحن جنود الامبراطورية العظمى ..
التي تمتلك العالم .. روما .. انهـــا تنظر في
فخر الينا الآن .. في زهو واعجـاب بنـــا
(يصرخ مغنياً) من اجل عينيك الجميلتين ،
نحن هاهنا ..

روبرتو : (في هـدوء)
من أجل عيني من ؟

ماركو : (ماضياً في غنائه)

لان لون عينيها هو الزرقـة ..
فالسماء زرقاء
وروح الشمس زرقاء
ولون البحر ازرق

روبرتو : ماركوأتعني؟

ماركو : لا تقاطعني (يستمر في غنائه)

روبرتو : سئمت الحرب والغربـة

ماركو : (لا يسمعه)
من اجلك يا روماي ..
يا سيدة الدنيا (يبتعد مغنياً)

روبرتو : (يلحق به)
وزوجتك؟
أين هي الآن ؟ وطفلـك الصغير
والعجوز الطيبة ؟ امك
والبيت الذي أخبرتني عنه ، وراء الضفة

الاخرى .. وغرفتك ؟
(يتحشرج الغناء في حلق ماركو .. يجمد في
مكانه.. روبرتو يكاد يهمس في أذنه)
ماركو ألم تكن تحب يوما زوجتك ؟
ألم تكن تغار ؟ أين حبك القديم ؟
أين غيرتك ؟

ماركو : (كمن يفيق من سباته)
بلى .. لقد أحببتها ؟

روبرتو : ثم أتى الدوتشي .. وألقى بك في الصحراء
منفياً .. لماذا جئت يا ماركو ؟
ألم تدرك ؟ لماذا ؟ ومتى ؟

ماركو : اجل لماذا ؟ ومتى؟

روبرتو : لأننا لم نك أحرارا
لقد جئنا لأنهم هم الذين شاءوا أن نجيء .. ؟
اننا الطاعة بينما هم الأوامر؟

ماركو : بالضبط .. دائماً هم الأوامر (في يأس) ؟

ماذا يفيد القول (في ضيق) ما جدوى الذي
تقول ، ما دمنا هنا لكي ننفذالأوامر .. نحن
هنا لكي ننفذ الأوامر ؟

روبرتو : والموت في الغربة ؟ هل تعرف معنى الموت في
الغربة (ماركو لايجيب) ؟
جمجمة في الصحراء ؟ كان اسمها روبرتو ؟
أو كان اسمها ماركو ..

وتنسى الجمجمة بعد قليل انها كانت قديما
جمجمة ..

ماركو؟ لماذا شيدوا السور ؟ وكيف شيدوه ؟
هل سألت مرة نفسك ؟ هل فهمت ؟

ماركو : ليس من حقك أن تسألني هذا السؤال (محتداً)
ليس من حقك يا روبرتو !
اني آمرك (في رقة مصطنعة)
أنت صديقي.. انما لا تنس مسؤولية الجاويش
(يشير بيده الى رتبة الجاويش على ذراعه)

انني آمرك .
معذرة لهذه اللهجة يا روبرتو ..
اغفر لي لأنني آمرك !

روبرتو : سئمت يا ماركو ، ظلام الحرب ! والخوف من الموت ؛ ورمل الصحراء ، وجثث القتلى ؛
وأنهار الدم القاني !
أهذا كله من أجل روما !
أم لأن الدوتشي ما يزال عطشان الى الدماء .

ماركو : التزم الصمت .. تعقل .. ربما تفقد رأسك

روبرتو : (وقد اجتاحته قشعريرة برد)
البرد .. يالـــبرد .. من أي سمـــاء يهبط الملعون ! انه يوشك أن يقتلني !

ماركو : تشجع .. اصبر .. انـــه أهون من أن تفقد الليلة رأسك .

روبرتو : تؤلمني رأسي .

ماركو : الوقوف مرهق ؛ فلنتحرك حول هذاالسور ..

هيا نتحرك .

(يضع يده فوق كتف روبرتو .. ويخرجان

من اليسار .. من اليمين تظهر الصغيرة سلمى

« دون الخامسة عشرة من عمرها » ووراءها

العجوز العمياء ، في ملابسها الرثة .

بينما يتدلى من عنقهـا شيء أشبه بالجراب)

سلمى : (للعجوز التي تمسك بملابسها من الخلف)

تقدمي .. فالحارسان اختفيا

(تتركها سلمى . وتجري يمينا ويساراً

لتتأكد من اختفائهما بينمـــا العجوز تتلمس

طريقها نحو السور)

تقدمي ..

(تلامس العجوز الاسلاك الشائكة)

العجوز : وهكذا سد غرازياني الطريق .

ياويلهم سدوا على رجالنا الطريق .

سلمى : هل هم الذين قتلوا أبي !

العجوز : أعط اشارة الأمان .. أسرعي

(تهم سلمى بالسير .. تقف)

سلمى : أماه .. هل أنت حزينة !

العجوز : يا سلمى .. أسرعي .

(تخرج سلمى ، بينماتتجهالعجوز ناحية اليمين باسطة يديهـــا .. يدخل عمر المختار « شيخ يتجاوز الستين ، ملثم الوجـــه » متوسط القامة .. يلتف بالزي الليبي القومي (الحرام) يربت على كتف العجوز لحظـــات .. تبتسم العجوز في حنان وثقـــة .. يمضي عمر الى السور ، وينفـذ منه ..)

العجوز : امض ، وعد من رحلتك

متشحاً بهيبتك

ما اروعــك

واشجعــك

يا عمر المختار ، اعداؤك كـثر ،

والطريق وعرة . .

فاذهب على اسم الله
والله معك
الله معك
(بعد ان استبطأت سلمى)
من اين يا سلمى ؟ ذهبت اين ؟

سلمى : (تظهر مضطربة)
من هنا .. كان هنا .. كان هنا ..

العجوز : يا سلمى ماذا بك ؟

سلمى : هل نحن سجينتان ؟

العجوز : اسرعي ، فقد يجيء بعضهم

سلمى : لقـد تعبت

العجوز : يا صغيرتي اصبري

سلمى : طوال ليلتين ونهارين

العجوز : لنبتعد

سلمى : خائفـة انت ؟

العجوز : اجل عليك ياصغيرتي
لم يبق لي غيرك

سلمى : هل هم الذين قتلوا أبي ؟

العجوز : لنتحدث في الطريق . .
خذي يدي (تمشيان تجاه اليسار . .
العجوز تناجي نفسها)
عميـاء لا ابصر . .
عمياء انا . .
عكازتي جذع قديم التوى
وبيتي الحزن . . وعـالمي الدجى
أماه . .

العجوز : (مستطردة)
لا لست حزينـة ، لاني لا ارى
يخطـىء من يحسب اني لا أرى
عيناي عمياوان . . لكني ارى
(تضحـك بحقـد مكتوم . . تضرب الارض
بعـكازها)

في هذه اللحظة . .
(هرولة اقدام خارج المسرح . . اصوات

مختلطة بقرقعة اسلحة
العجوز ترهف السمع . البنت تلوذ بها ..) .

صوت ١ : قف

صوت ٢ : من أنت (تقترب الاصوات اكثر)

العجوز : (لنفسها) لا حول ولا قوة

صوت ١ : ماذا في يديك

صوت ٢ : ارفع يديك

صوت ١ : اقترب . لا تتحرك

صوت ٢ : اقترب

صوت ١ : سأطلق النار عليك

العجوز : لعنة الله عليهم

صوت ١ : من تكون ؟

العجوز : (للبنت)
قد اقبل الفاشيست هيا اسرعي .

صوت ١ : أهارب أنت ؟

العجوز : (وهي تسرع الخطى وراء الفتـاة)
له الله.

صوت ١ : ومن اين اتيـت ؟

صوت ٢ : امش امامي .. من تكون ؟
(يدخل من الجـانب الايسر ثلاثـة جنود ايطاليون مسلحون .. اثنان في المقدمـة . . ووراءهما الشاب الليبي زهير ، مقبوضاً عليه ، الجندي الثالث يصوب سلاحه الى زهـير) .

زهير : اسمي زهـير بن غصون

الجندي الاول : ومن زهير ؟

زهير : اسمـي انا

الجندي الثاني : (كأنما يتذكر) زهـير .. هل قلت زهير بن غصون ؟

الجندي الاول : كأنما سمعت هذا الاسم من قبل

الجندي الثاني : (ضاحكاً في سخرية) زهير بن غصون

الجندي الاول : اقعـد على الارض (زهير يتبـاطأ)

ألا تسمع ! قلت اقعد على الارض (يقعد بكبرياء)

الجندي الثاني : ومن كان معك !

زهير : كنت انا وحدي

الجندي الاول : فتشا المكان

(يذهب اثنان)

لا تبتعدا (زهير وهو يحاول الوقوف)

الزم موضعك

زهير : (يسعل .. ثم يعابث الجندي وقد لاحظ اضطرابه)

أخائف مني !

الجندي : (بكبرياء مصطنع)

أنا !

زهير : اذن لماذا ترتعش

الجندي : انا ! كذبت (زهير يحاول الوقوف)

اقعد كما كنت

زهير : (ضاحكاً) ولكنـك ترتعش .

الجندي : (مصوباً السلاح اليه .. بينما زهير يضحك)
تريد أن تخدعني اياك

زهير : أسنانك تصطك
وعيناك مريضتـان
هل انت مريض ايهـا الجندي .. !

الجندي : (لنفسه)
يبدو انني (منتفضاً)
كفاك لن تخـدعني اسكت
(يعود لنفسه) ربما كنت مريضاً

زهير : (بخبـث)
ولعلي استطيـع ان اساعدك
(يفغر الجندي فاه ببلاهة لا يتكـلم ..
يدخل الجنديان ومعهما العجوز والفتاة ..)

الجندي الاول : (وهو يدفعهـا الى الوراء)
عمياء

العجوز : دعني

الجندي الاول : منذ كم وانت عمياء . انطقي

العجوز : منذ أتيتم هذه البلاد

الجندي الاول : ماذا تقصدين ..
بهذه البلاد . .

زهير : (يتدخل)
تقصد ...

الجندي الاول : (مقاطعاً)
هل انت محاميها ؟
لقد أنذرتك .. اسكت ..

الجندي الثاني : لا تزد

العجوز : أعني..

الجندي الاول : استمري

العجوز : قبل اعوام قلائل
كنت صغيرة وعمياء وجئتم . (تسعل)

الجندي الاول : كيف جئنا .. اختصري

العجوز : (تضحك بـدهاء)
ثم كبرتم و كـبرنا .

الجندي الاول : ما الذي في هذه المخلاة ؟

العجوز : عشب وسنابل

الجندي الاول : روبرت افرغهـا ..
(يختطفها زميله ويفرغها .. يحرك محتوياتهـا
بطرف البندقية متأففاً ..
يلتقط صرة صغيرة فيها بعض الحصى ..)
انتبه لعلهـا ..

الجندي الثاني : لعلها ماذا ؟ (يقذفها للعجوز)
امسكيها انت (تسقط الصرة)

زهير : (عابثـاً)
قد يكون صادقاً .. لعلها ..

الجندي الثاني : (خائفاً)
اجل لعلها تكون..

العجوز : (بدهشة)
ما تكون ؟

سلمى : (تلتقط الصرة) إنه حصى ..

العجوز : بلى .. ألم أقل لكم حصىً ..

الجندي الثاني : حصى ؟ (ينحني ساخراً)
وماذا تفعل السيدة العمياء بالحصى ؟

الجندي الاول : تلهو به (يضحك)

الجندي الثاني : تطهوه إن! جاعت (يضحكان) وتشرب الرمال

زهير : تأدباً .. لا تهزأ بامرأة عمياء يا رجال

الجندي الاول : (ساخراً) عاد محاميها

الجندي الثاني: أما زلت تدس أنفك اللئم

الجندي الاول : أقسم ان اقطعه إن لم تكف عن لجاجاتك
قولي يا امرأة

العجوز : هذا الحصى عيناي

الجندي الاول : عينـاك ؟

العجوز : بلى .. اقرؤه .. فأبصر الغيب

الجندي الاول : فهمت (لزميله) هل فهمت ؟
المرأة العمياء تقرأ النجوم (يضحكان)

العجوز : يا ولدي دعني

الجندي الاول : لا .. بل سوف تأتين معي (يهمس في اذنها)
سوف تسر الكولونيل رؤيتك
فالكولونيل ..

زهير : (مقاطعـاً)
الكولونيل فارسٌ تزهو به روما
ويختال بما في صدره من أوسمه
وهي غنيمة تزيده جلالا عنـدها
وتُعلي اسهمه .

الجندي الاول : ويلك هل تسخر من روما ومن ابطالها

زهير : روما ؟ وما شأني برومـاك انا ..

الجندي الثاني: روما هي الدوتشي..

(الجنود الثلاثة يؤدون التحية الفاشية)

زهير : تذكرت فقد رأيته يخطب يوماً رافعاً ساعده
الايمن (يضحك) بلياتشو على دبابة يعوي ..
سمين .. مضحك حتى الرثاء
أضحكني الدوتشي وروما اغرقتني في البكاء

الجندي الاول : قد سقط القناع عن وجهك ..
(لزميليه) كلب يستحق الموت شنقاً
(يهوون عليه بكعوب البنادق)

زهير : (من خلال ضرباتهم)
أيُّنا الكلب ؟ أنا ام كلب روما

الجندي الاول : اسكت (يواصلون ضربه)

العجوز : (لنفسهـــا)
سيقضون على المسكين ..

زهير : لا .. لن تسكتوني

الجنود : أيها اللعين ..

العجوز : مجنون ولا شك

ارفعوا ايديكم عنه .

زهير : اذهبوا إلى الجحيم

الجنود : ايها الكلب

زهير : الى الجحيم

كلكم الى الجحيم .

– ظلام –

المشهد الثاني

(شارع طويل ضيق في مدينة درنة .. على جانبيـه بيوت بسيطة ، مبنية على الطراز العربي القديم .. الى اقصى اليسار من الشارع ملهى ليلي (نادي الليالي الحمراء) ذو جدران زجاجية ، تنبعث من داخله موسيقى صاخبة ، تخالطها ضحكات سكارى .. عند ناصية الشارع القريبة من مقدمة المسرح أطلال جامع متهدم ، نرى في أحد جوانبه بقايا المنبر .. بالداخل عدد من المصلـين لا يتجاوز السبعـة . . الامام جالس وهم وراءه في ختـام صلاة الفجر . .)

الامام : السلام عليكم

المصلون : السلام عليكم

(يرددونها .. يتمتم بعضهم بالادعية)

احدهم : على خاتم الرسل الف سلام

آخــر : قل لنا يا امام

الامام : على سيد الخلــق الف سلام

(يستدير ويتحلقون حوله)

نفس الرجل : قل لنا يا إمام

لقد بقروا بطنها وهي حبلى

آخــر : اللئام .. اللئــــام

آخــر : بعد حرق البيوت ، وسبي الحرائـــر

آخــر : وانتهــاك الشعــائر يا اخوتي ..

آخــر : وابي الشيخ قد كان أعمى ولم يرحموه

آخــر : وكم مسجد طاهر دنسوه ، وداست حوافرهم فوق انقاضه ..

آخــر : والكتاب الذي وطئوه

آخــر : وماذا تبقــى لنا يا إمام

الامام : طريقان : إما يد الصفح عنهم ، وإما يـــد الانتقــام

رجل : (متنكراً) يد الصفح ؟ والله لا صفح .. لا صفح.. لا ..

احدهم : (وهو قميء حليق) اصغوا إلي

الامام : الكرامة فوق الحياة

الرجل الحليق : اسمعوا ايها القوم ان الصلاة . .

احدهم : (مقاطعــاً) عرفنــاك

الرجل الحليق : ان الصلاة فريضة

احدهم : حقاً هــذا صحيــح .. ولكن . .

الرجل الحليق : أتنكرهــا

الامام : ايها المسلمون

احدهم : الجهــاد فريضة

الامام : اشهد لم يبق إلا الجهــاد وقال تعــالى

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال ، كما كتب على الذين من قبلكم ..)

المصلون : صدق الله ..

احدهم : الله اكـــبر

الامام : واستمعوا للرسول الكـــريم

المصلون : عليــه السلام

الامام : (والذي نفس محمد بيده ، لا يقــاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة ..)

الرجل الحليق : يا إمام رويدك ..
كيف تطير طيور بلا اجنحه
ثم لا تنسى انا قليل ، وانا ضعاف
وتنقصنا الاسلحه

احدهم : ايها الخارجي

الرجل الحليق : وهم يا امام كثير ، وعندهم الطائرات .

احدهم : بربك من انت ؟

آخـــر : (منتقلا من جواره)
يا قوم ما هذه الرائحة ....

الامام : وماذا تريد بقولك هذا ؟

الرجل الحليق : ابصركم فالحياة كما تعلمون
وقال تعالى :
(ولا تلقوا بأنفسكم الى التهلكة ...)
(تتداخل اصواتهم)

المصلون : ايها الخارجي الجبان

الامام : (يهدئهم) اذا اخترت انت المهانة والعار
فانعم بما اخترت وحدك

احدهم : هذا اختيارك وحدك

احدهم : امن ليبيا هو ؟

احدهم : إني أشكُّ

الرجل الحليق : انبذوني كما شئتم
انكروني كما شئتم
فالنصيحة ....

احدهم : مرفوضة مثل هذي النصيحة

الامام : هذي خيانة

الرجل الحليق : أعوذ بربي

احدهم : (الى من بجواره)
وما رأيه في اغتصاب بنات العوائل

آخـر : أليست له أخت ؟

آخـر : ولا زوجة ؟

احدهم : ان مثلك عار القبائل

الامام : أتعلم أن الزوايا الشريفة صارت اماكن فسق لهم .. والمساجد اضحت مواخير حينـاً ، وحيناً مزابـل

احدهم : أتعلم ؟

الامام : يعلم لكنه (مستدركاً) ما علينا سأقرأ هذا النداء عليكم

احدهم : نداء

آخــر : وممن ؟

احدهم : ومَنْ غير « سيدي عمر » ؟

الرجل الحليق : أسمعتم نداء بادولبو ؟

احدهم : كأنك مندوبه بيننــا (يسخرون ويبتعدون عنه)

آخــر : اقرأه وحدك

آخــر : لسنا نريد

آخــر : لماذا بربك انت هنا ؟

احدهم : يا امام استمر

احدهم : اسمعوا (يصمتون جميعاً) . .

الامام : قال سيدي عمر :
زففنا الى جنة الخلد امس شهيداً
عظيماً قضى ليلة البارحة
فقد داهمته جنود العدو
ودارت عليهم رحى المعركة

وقتل منهم كثيرين في الجبل الاخضر
قرابة خمسمئة
وكان يكبّر

المصلون : الله اكـبر

الامام : الله اكـبر
على العصبة المشركة
وعنـد الظهيرة
أدى صلاة الظهيرة
وراحت فئة
وجاءت فئـة
وعاد يكبر

المصلون : الله اكـبر

الامام : وكانت سيوف الفضيل واخوانه
الصامدون عليهم اشد وابتر
الى ان اتت نجدات العدو
وعادت تدور رحى المعركة

وفاضت الى الله روح العماري
وروح الشريف ، وروح الغزالي
وما زال سيف الفضيل
يطوق نيرانهم ويصول
ويرغي ويزبـد

الى أن احاطوا به فاستشهد
يعوضنا الله في الاربعين
وعاقبة النصر للصابرين

المصلون : (بحزن)
يعوضنا الله فيهم

الامام : ليرحمهم الله

الرجل الحليق : يا ايها المسلمون

احدهم : (واقفا متأهباً للخروج)
نويت الخروج الى الله

الامام : فليقبل الله منك

آخـر : (فاعلا مثله) ومني ايضاً (يخرجان)

ثالث : سآتي وراءكما (يتبعهما)

آخر : آه لولا .. (يروح في نوبة بكاء وهو يرفع ذراعيه الراعشتين)
(في مثل شيخوخته)
ألا فاذكروني بربكما عند « سيدي عمر »

(الامام يرفع يديه مبتهلا الى الله ، ويتناول مصحفاً موضوعاً قرب القبلة ، يقوم الشيخان بمساعدة الامام ويتجهان ببطء ناحية الباب الرجل الحليق يلتقط حذاءه من جانبه . . وهو يحاول ان يتحدث مع الامام فلا يعيره التفاتاً .. الرجل الخامس ينهض ثم يطوي حصير المسجد .. وهو يحدجه بعينين ناقمتين. . يلحق بالجميع عند باب المسجد .. يقفون جميعاً حين تأتيهم اصداء ضحكات السكارى الخارجين من الملهى .. يقبل ضابطان ايطاليان تتوسطهما « جينا » المجندة شبه عارية .. الثلاثة يتساندون .. عند ناصية

الشارع يتقابل الجميع وجهاً لوجه ..)

الضابط الاول : (مترنحاً)

ايها العربيُ تعال اقترب

ما الذي كنت تفعل (يستمرون في تجاهلهم)

المرأة المجندة : (متعلقة بذراع الاخر)

قل لا تخف ايها العربي

الشاب : نخاف وممن ؟ (يتقدم الشاب متحدياً)

المرأة المجندة : برافو برافو ..

تخافون ممن ؟ (تضحك)

أوافقكم .. انهم لا يخيفون .. ليسوا مخيفين ..

هم ودعاء اليفون لا يعرفون الاذى ..

الضابط الاول : (هامساً) جينا

المرأة المجندة : او .. ماريو

الضابط الاول : (بانفعال) جينا كفى

المرأة المجندة : (تخاطب الجماعة) ..

أترون .. وحتى اذا ثار ثائرهم فهو كالقط يتبع

ثورته بالرضى .. (تضحك)

الضابط الثاني : لماذا تجمهرتم هكذا ؟

الامام : ايها الضابط اسمع

الشاب : لقد جمعتنا الصلاة

المراة المجندة : برافو .. اتسمع قال الصلاة امنوعة هي ؟

الضابط الاول : ممنوعة

المراة المجندة : (بدهشة) يا إلهي

الضابط الاول : لا تمزحي

المراة المجندة : ماريو .. لكنه الدين

الضابط الاول : دين محمد

الضابط الثاني : وليس المسيح

المراة المجندة : (ساخرة) وما الفرق بينهما يا فصيح

الضابط الاول : هو الفرق ما بين روما وبرقة .. ما بين دير عظيم ومسجد .

المرأة المجندة : كلا المسلكين طريق الى الله

الضابط الاول : جينا أغرقت في السكر .. جينا

المرأة المجندة : عزيزي ما كل هذا التجبر ؟
ولم نحن مستهترون قساه (بتأفف)
انا لا اصدق

الضابط الاول : (بلهجة آمرة) جينا اذهبي..

المرأة المجندة : لا

الضابط الاول : أتعصين أمري ؟

المرأة المجندة : أمرك انت

الضابط الاول : أتنسين انك . .

المرأة المجندة : أني ماذا ؟

الضابط الاول : مجندة منذ عام

المرأة المجندة : نعم لست انكر .. لكن جينـــا مسيحية
وتصلي . .
وها آنذا يا عزيزي أصلي

(ترسم علامة الصليب)

الضابط الاول : اذهبي (يدفعها فتكاد تسقط وهي تتأوه)..

المرأة المجندة : ايها الهمجي

الضابط الثاني : أمسلمة أم مسيحية أنت ؟

المرأة المجندة : لا فرق عندي بين المسيح وبين محمد

الضابط الاول : غداً تعرفين .. اذهبي (يركلها فتقع .. يحاول الضابط الاخر أن يرفعها) ..

المرأة المجندة : كيف تجرؤ كيف ؟ دعوني .. حقا وحوش ملطخة بالمساحيق ..
انتم جميعاً وحوش .. دعوني ..

الامام : اذهبي يا ابنتي

الشاب : ايها الضابط اسمع

المرأة المجندة : (تلم اطرافها .. وتتراجع بحقد وذعر وتحدي)
وحوش .. ذئاب .. طغاة (تختفي)

الضابط الاول : (لزميله)

غداً ستحاكم (منتفخاً مغروراً) ..
وأنتم عصاة .. وتحتقرون الفاشيست ..
أليس كذلك ؟

(يستدير حول الشاب حتى يقف في مواجهة
الامام ..)
لقد أعجبتك (مشيرا الى جينا بسخرية)
اذهبي يا ابنتي ..
أو ليس كذلك
ولكنها ستحاكم

وتشهد أنت عليها (لاحد الشيخين)
وسوف تحاكم انت (للشاب الذي يتوتر شيئاً
فشيئاً)

وتشهد انت عليه (يد الشاب تمتد الى فتحة
في ملابسه دون ان يراه احد)
(الضابط يعود الى احد الشيخين)

الشيخ : (ممسكا بسبحته)
له الامر والنهي .. سبحانه الله سبحانه وحده
الله ربي

قل لن يصيبنا ...

الضابط : (يشد المسبحة فتنقطع وتتناثر حباتها)
فيم تهذي ..

الشيخ : (مستدراً) أعوذ به وحده ..

الامام : ايها الضابط ارفق بشيخوخة الشيخ ..

الضابط الاول : (ساخراً)
معذرة أيها الشيخ .. معذرة (يلمح المصحف
في طيات رداء الامام)
أعطني ذلك الشيء ..

الامام : شيء . انا لست احمل شيئاً .

الضابط الاول : امام وتكذب ؟

الامام : حاشا لقائله .. انما ليس هذا بشيء كما قلت
(يخرجه متحدياً)
هذا كتاب كريم

الضابط الاول : (ساخراً) كتاب محمد

الامام : كتاب إله محمد

الضابط الاول : اذن أعطنيه ..

الامام : محال .. فلست بطاهر

الضابط الاول : (متجهما) سآخذه عنوة واقتدارا (ينتزعه بالقوة)

الشاب : (وقد بلغ به التوتر اقصاه) وها هوذا
(يلقي به الى الارض ويطأه)
ايها الكلب كافر (ينتزع الشاب خنجراً من صدره ويهم بقتله .. يلمحه الضابط الاخر) ..

الضابط الثاني : حذارك .. خذ منه حذرك ..
(صارخاً)
ماريو .. تلفت وراءك ..
(يطعنه الشاب في مقتل قبل ان يتلفت) ..

الضابط الاول : (وقد أصابته الطعنة يدور حول نفسه متقلصا في حالة النزاع الاخير)
آه .. لقد قتلوني كأني احلم .. قتلت بطعنة هذا .. بخنجره ..
الدم يغسل خنجره .. كلهم قتلوني .. اشنقوهم

ولا ترحموا أحداً ..
احرقوهم جميعاً .. فقد قتلوني .. آه الخناجر تثقب جسمي ..
ألوف الخناجر تثقب جسمي .. آه ..
(يسقط قتيلاً .. يكون الشاب والضابط الآخر في صراع مميت ..
الامام التقط المصحف وقبله .. الشيخان يتواريان ببطء عند منعطف الشارع .. لم يبق الا الرجل الحليق الذي وقف متردداً مضطرباً .. لا يتدخل في الصراع .. ينحني على الضابط القتيل يجس نبضه ..
الشاب يتغلب على الضابط الآخر فيطعنه ويسقط متأوها .. يسرع الشاب بالأختباء ..
أشعة الشمس تضيء تدريجا .. الرجل الحليق يركض الآن هارباً .. بينما الستار يهبط نلمحه في نهاية الشارع نافخاً في صفارته ..)

الفصل الثاني



المشهد الأول

بضعة بيوت طينية متناثرة ، بلا أبواب أو سقوف .. تحوطها اشجار نخيل ..

بقايا الحرائق والادخنة التي ما تزال ترتفع مرتسمة على البيوت .

العجوز العمياء (ام سلمى) تجلس القرفصاء وحدها في ساحة القرية ، وهي تنبش الرمال بعكازها .. أنين مجهول المصدر ، تحرك رأسها في حيرة .. تندفع الفتـاة سلمى خارجة من أحد طرقـــات القرية ، في حالة اضطراب وهلع .. الوقت منتصف النهار .. صيف) .

سلمى : كلُّ شيء حطامٌ هناك ..

العجوز العمياء: جميع البيوت؟

سلمى : جميـــع البيوت ؟

العجوز العمياء: جميـع الزوايا ؟

سلمى : جميـع الزوايا

العجوز : وماذا رأيت كذلك ؟

سلمى : قتلى كثيرين
(تبكي العجوز .. تصمت سلمى قليــلا)
امي

العجوز : قــولي

سلمى : هنالك بعض النساء العرايا

العجوز : نساء عرايا على الدرب .. واخجلتاه (تقف)
سنأتي لهن ببعض الثياب خذيني اليهن ..

سلمى : (مترددة) لكنهـن .

العجوز : سيخجلن من رؤيتي (بحرارة) غير اني واثقة ٌ

انهن سيخجلن عــني
سيعذرنني حين يعرفن سني (بأسف) البريئات
آه .. كأني بهن وقد أكلتهن نار الهجــير ونار
الجاعة .. قلبي عليهن .. كيف تحملن تلــك
الفظــاعة . .
(تتلمس المخلاة) عندي لهن قليل من المـــاء
والخبز . .

سلمى : ماء وخبز ؟ وما من فم يشتهيه

العجوز : سأغضب منك

سلمى : أيشعر من مات بالجوع ، أو بالخجل
أيملك حق البكاء ، وحق الأمل

العجوز : كأنك لم تخبريني بكل الذي تعرفين

سلمى : أجل .. أنهن .. لقد شنقوهن . .

العجوز : يا للجريمة

سلمى : عشر نساء هناك بغير ثياب
معلقة في المواميد اعناقهن

تروح وتغدو بهن الرياح
فتهتز سيقانهن (تلتصق بها خائفة)
وحيث تلفتُ أبصرت أوجههن ..
تحدق فيّ ، وأفواههن تسيل دماء وتضحك
(تنفجر) أفواههن

الحزينة كانت تسيل دماءً وتضحكُ .

العجوز : سلمى الك الله (تحضنها وتربت على شعرها

سلمى : حينئذٍ خفتُ خفتُ عميقاً ولم أبك ..
رحت أحدق فيهن خائفة ، ثم مدت يديها امرأة ..

العجوز : (بحنان) إنه الخوف صورها لك .. سلمى هو الوهم ..

سلمى : ما كنت واهمة .. وكنتُ .. كنتُ محدقة حين
راحت محركةً في الهواء يديها ..
وكنت اراها بعيني توشك تفعل شيئاً وتفشل .
ثم تعود تمد يديها ببطء لتفعل شيئاً وتفشل ..

العجوز : أأدركت ما هو

سلمى : كانت كمن أبصرت حلما مفزعاً .. شعرت أن
وحشاً كريهاً يدوس على صدرها ..
فأزاحته خائرة .. أبعدته فلم يبتعد ..
كان شيئاً فظيعاً .. فظيعاً .. ولما تهالك من
فوقها الشيء راحت تجس الجراح .. تغطي
كرامتها وهي ميتة بيديها .

العجوز : سندركها إن تكن حية

سلمى : لم تكن حية قط .. كانت هي الموت والعار ..
كانت مجللة بالهوان
وكانت ..

العجوز : (ترفع يديها في سخط مقاطعة) ..
وما زال رمل الصحاري كما كان ..
لم يلتهب بالبراكين
لم ينفجر بالزلازل
تمنيت لو كنت أرضاً تقاتل
جيوشاً تقاتل

تمنيت لو كنت كل الشعوب .. وكل القبائل ..

ولكن سيأتي الزمان ..

سيأتي عمر .. ياعمر .. ياعمر .. ياعمر ..

المشهد الثاني

(مقر قيادة عمر المختار ، في احد كهوف الجبل الاخضر .. عدد من المجاهدين بالخارج يراقبون حركة العـــدو .. عمر يقف بباب الكهف .. شيخ وقور تجاوز الستين ، وجهـــه أميل إلى السمرة الداكنة .. ذو لحيـة بيضاء مستـــديرة – ام سلمى في مواجهة عمر وقد أعطت ظهرها للمشاهدين بحيث لا تتضـــح شخصيتها تماماً .. قائدان مقنعان ، أحدهمـــا راشد والآخر المنصور يجلسان بالداخل يتحدثان .. كل منهم سلاحه في متناول يده ..)

ام سلمى : كثيرٌ ..هم..

عمر المختار : وقبلهم كثيرٌ تبدد ريحهم ، وغدوا رمالا فلا تحزنك كثرتهم ..

ام سلمى : (باشفاق) واخشى عليك الغـــدر لا أخشى
القتالا (بتوسل) بربــك لا تتم فالخصم صاح
يمد اليك يا عمر الحبـــالا .. ولو أسروك ،
أو قتلـــوك ويحي إذن قتلـــوا الارادة
والنضالا .

عمــر : رعاك الله ، هل تدرين ماذا وراء الافق ؟

ام سلمى : آفاق توالي..

عمــر : كذلك تولد الثورات ليست تموت وتملأ الدنيا
رجالا .

ام سلمى : سأمضي (تتأهب للخروج)

عمــر : في أمان الله ، لاجزع ولا ضراء .
(تخرج دون أن تلتفت .. عمر يعود إلى مكانه
بجانب القواد الثلاثة) . .

عمــر : (للقائد راشد)

راشــد : أتعرف من تكون ؟
بلى وتعرف خطوها الصحراء

ويعرفها الاخ المنصور

المنصور : اذكرها ، فذات مساء

وانت بمصر حينئذ وراء مواقع الاعداء وكنا ندفع الخذلان بالكفين والاغراء ونوشك أن نقول كفى لحرب الجوع والاعياء وإذ بوريقة مصغرة مخبوءة بدهاء تجيء بها الينا من لدنك كريمة الانباء لقد كانت رسالتك الصغيرة باب كل رجاء . .

عمر : ولا تنسوا فقد ضحت بأربعة من الابناء قضوا في المرج .. والجغبوب .. والزاوية البيضاء..

المنصور : لماذ لم يجيء للآن . .

راشد : من ؟

المنصور : عبدالسلام

راشد : (يتطلع في ساعته) الآن سوف يجيء . .
(يدخل عبد السلام السوداني)
هاهـوذا

عبد السلام : السلام على الجميع (لعمر) عليـــك يا عمر السلام

عمــر : عليك يا عبد السلام

عبد السلام : بحمد الله ، قافلة العتاد أتت ..
وكان خروجها في رحلة السلوم..
مخاطرة ، فقد علم العدو بهـا

عمــر : ترى هل أن جاسوساً هناك يحوم
أم كانت مصادفة ؟

راشــد : وفي الأبيار هل كانت مصادفةً ؟
أما قطعوا الطريق عليك يوم رجعت يا عمر ؟
ألم تجد العدو هناك ينتظر ؟
أما كادت أياديهم تطول اليك ؟
لولا أنه القدر

المنصور : هنالك خائن يتعقب الثوار أو مرتد

عمــر : ستلحقه خيانته وإن طـــال الزمان به ..
وماذا بعد :

عبد السلام : فاجأنا العدو بناره حتى لقد كُدنا
ولكنا تذكرنا ثرى ليبيا فعاودنا
وجددنا عزائمنا .. وشددنـــا
عليهم ، ثم قرّبنـــا وأبعدْنـــا
إلى أن مـــات آخرهم فغادرناه
وغربان الدجى تنعاه

راشـد : (يقف على باب الكهف متطلعاً)
تلبدت السماء

عمـر : لنستعـد

المنصور : اجل

عبد السلام : لدينا كم من الفرسان ؟

عمـر : خمسمائة ، والف مجاهد

عبد السلام : وعدُونا ؟

عمـر : حشد بلا عدد ، خلاف مدافع الميدان

عبد السلام : وكم طيارة ؟

عمـر : مائتان غير تدفق المـدد
وتسع مصفحات ضخمة ..

راشد : والآن ؟
قلب الخطة الجبلان

عمـر : (يوجه الحديث إلى راشد)

ستتخذ الطريق الاسفل الملتف بالوادي
(للمنصور) وتكمن أنت ما بين الجبال السود
حتى إذْ هجمتُ أنا على أسوار درنـة

أطلِقوا النيرانْ
ولا تقفوا فان تدفق النجدات

أخطر ما نواجهه ..
وسوف يكون أرضَ الملتقى الجبلان
فباسم الله

الجميع : باسم الله

عمــر : هيا أيها الاخوانْ

يختطفون بنـــادقهم ويخرجــون .. عمر في المقدمة .. حين يسود الظلام .. تسمع اصوات المعركة .. تتلاشى تدريجياً ..) .

المشهد الثالث

(مكتب الجنرال غرازياني .. الاثاث بسيط نسبياً .. فوق الطاولة التي جلس عليها القائد ، عدد من الاعلام الصغيرة ، ترمز الى الفرق المحاربة تحت قيادته .. ووراءه نافذة واسعة مفتوحة على الساحة الرئيسية في المعسكر الى يمين الداخل باب جانبي مغلق .. غرازياني يتحدث في التليفون ..)

غرازياني : لم يوقفوا هجماتهم ..
عمر الذي يستنفر الثوار
من اجل هذا قد أتيت
اجل علمت
إرادة الدوتشي نافذة

سأحرق دورهم وخيامهم
وأسمم الآبار ، والانهار في الجبل اللعين
كانوا يرون الموت افضل
كثعالب الصحراء تقتحم المعسكر كل حين
الموت او شرف الحياة
وقد يكون الموت اسهل
يا سيدي الجنرال
أمهلني ثلاثة اشهر
وسأشتري بالمال رأس زعيمهم
لا لست اعني اننا لن نستطيع قتاله ، فلسوف
يُقْتَل
حسناً سأفعل
حسناً سافعل

(يضع السماعة .. يضغط زراً بجانبه .. يقف ويتحرك منفعلا .. يدخل جندي مضطرباً .. يؤدي التحية العسكرية) ..

الجندي : سيدي

غرازياني : الكولونيل سريعاً

(يخرج الجندي بعد التحيـــة .. يعود
غرازياني إلى مقعده .. ينحني على خريطـــة
فوق مكتبه .. كانما يناجي نفسه) . .

عمر..
هو أو انا في هــذه الارض ، روما بكـــل
بطولاتها او عمر .. (في جنون)

الرياح ، الجبال ، الخيام ، الظلام .. عمر
ايها الثائر البدوي ستعرف من انا
(يدخل الكولونيل مالتيني يؤدي التحية)

مالتيني : امرك يا جنرال

غرازياني : (كمن لم يسمعه)
انا او عمر

مالتيني : (مقـــترباً)
ما الذي يزعج الجنرال

غرازياني : أتسخر يا كولونيل

مالتيني : (مندهشاً) لقـد كنت أسأل

غرازياني : تسأل

مالتيني : كنت اريد اقول انتباه أحمد

غرازياني : لماذا انزعجت

مالتيني : تماماً

غرازياني : تمـاماً

مالتيني : أأخطأت

غرازياني : (ساخراً) عفواً .. وها أنت ما زلت تسأل
أليس كذلك (مستند ثانية بقرف)
سؤال حكيم دليل النباهة يا ايها الكولونيـل
المغفل (ضاحكاً) ..
لماذا انزعجت (صارخاً)
اما زلت تسأل يا كولونيل

مالتيني : (وقد ارتج عليه) ولكنني ..

غرازياني : (مقاطعاً)
دائماً .. دائماًشوكة الحلق ..

نفس الحـــكاية .. لكن .. ولكن .. ولكن
(بغضب اشد) افق ايها الكولونيل.. افق..

مالتيني : سيدي الجنرال .. لقـد .

غرازياني : (لا يدعه يكمـل) كن جديراً بامجاد روما العظيمـة ..
كن طاغية..
احرق الزرع والحصن والنجـع والزاوية
اقتل الناس حيث يكونون ، والماشية
لا تكن عاطفياً .. تجبر .. تحجر..
دس الطفل ، والشيخ ، والمرأة الباكيـة

مالتيني : سيدي الجنرال

غرازياني : ساعطيك آخر مهلة

مالتيني : سابذل جهدي

غرازياني : لقد قلت ، آخر مهـلة
(اشارة انصراف من الجنرال . . يخـرج الكولونيل .. يسمع صوت نفـير ونداءات

عسكرية هنا وهنـاك ـ حركة سيـارات
وخطوات جنود .. تلوح الخوذات وفوهات
البنادق التي يحملها الجنود وراء النافـذة ..
يميل الجنرال قليلا بوجهه تجاه النافـذة ..
يـدق جرس التليفون .. فيعود الى مسند
مقعده .. يمسك بالسماعـة

غرازياني : قليلا من الصبر ..
كيف .. واين
ومن اخبرك ؟
يا الهي .. أحقاً ؟
لقد كدت ان انهرك

ارسلوا الجثة ..
انتزعوا الرأس

لا بـأس
لا بد ان نتأكد منه ..
سأخبر روما
لقد كان شبـه محال

بلى يا عزيزي بغير جدال ..

(يضع السماعة .. ينهض بادي الاهتمام..

يدور حول المكتب .. يتجه ناحية البـاب

الجانبي المؤدي الى مكتبـــه .. دون ان

يفتحـه) ..

أيعقـل هـذا .. اكاد اجن

انتهت اذن الحرب

الحق اني است سعيداً بذلك

ان تنتهي الحرب ..

اني اكاد اجن

(يدفع الباب ، فينفتح ، تصدر اصوات

آلات اللاسلكي عاليـة مستمرة .. يطـــل

قليلا – يشير إلى شخص بالداخل .. يعود إلى

مكتبه .. جينا تتبعـه) .

الجنرال : (ينظر اليها) بلغيهـا لروما (لنفسه) ..
وان كنت لست اصدق ..

جينا : (تتناول الورقة بدهشة) سمعـاً وطاعة
(تخرج .. يحدث الجـنرال نفسه)
وماذا يضر إذا صح انجنودي قداوقعوا بعمر

أليسوا جنودي
اليس الرصاص رصاصي
ألم تك خطتهم خطتي ؟
فلماذا إذن لا اسر كثيراً لهـذا الخبر
(يضحـك في خبث)

ايها الجنرال العجوز
لقد أكل الحقد قلبك ، والجثة البالية
لا تروق لعينيـــك
لا تطفىء الظمأ المستبد بجنبك (يحـلم)
ما كان أروعه وهو يخجل في قيــده
والدماء تلطخ جبهته العارية بيـنما أنت تجلس
فوق منصتك العالية

(كانما قد تمثله أمامه)

أيها الشيخ كنت عدواً لروما .. اعترف

انني باسم روما ادينك

اصدر حكمي عليك .. وحكمي هو الموت

(يخرج مسدسه من حزامه)

حكمي هو الموت (يطلق ثلاث رصاصات

على شبح يتمثله.. يدخل على اثر الطلقات من

جوانب المسرح ، بعض الجنود يتقدمهم

الكولونيل مالتيني ، في حالة استنفار ..

تظهر جينا على الباب الجانبي ، هادئة ، وقد

أمسكت في يدها بورقة .. يستعيد الجنرال

حالته الطبيعية .. يحدق في وجوه الجنود

الذين وقفوا مدهوشين..)

(يلتفت ببرود ناحية جينا)

جينا ؟ ماذا لديك ؟

أثمة شيء

جينا : رسالة روما

الجنرال : وماذا تقول ؟

جينا : (تقرأ) يرقّى الجنود جميعاً

الجنرال : (بفرح مفاجىء) اجل سيرقّون (بعد لحظة)
اني ارى ان يرقّوا (منتفخاً)
فان مكافأة العاملين
ضرورية لنجاح العمل (للكولونيل)
ايها الكولونيل البطل
(يتقدم الكولونيل خطوة ويؤدي التحية) ..
يا عزيزي منحتك هذا الوسام (يقلده وساماً ..
يستدير وباسم العزيزة روما أعلقه فوق صدرك
إلى الجنود الثلاثة ..)
يا ايها الجند اني فخور بكم
ومن الآن انتم ..
(تسمع صرخات من الخارج .. يندفع على
اثرها الملازم – ممزق الملابس ، ملطخاً
بالدماء) ..

الملازم : (لاهثاً) لقد عاد

الجنرال : من

الملازم : عمر

الجنرال : عاد من موته

الملازم : لم يكن مات يا سيدي

الجنرال : كنت اعرف ذلك

الملازم : كانت مناورة أو خديعة

الجنرال : كنت معتقداً أنه لم يمت
(يستدير ناحية الكولونيل الذي بدا عليه الارتباك)

يا عزيزي .. يا كولونيلي الشجاع تكلم

الكولونيل : اذا صح ما قال فهي فجيعة

الجنرال : (للملازم) وأين تقابلتما

الملازم : كنت متجهاً بجنودي عبر الجبل فاذا برجال عمر

يقطعون علينا جميع الدروب
وسال رصاصهم فوقنا كالمطر
وصمدنا لهم ساعتين
ولما تكشفت المعركة
عن كلا الجانبين

كنت ملقى جريحاً
وكل الكتيبة مـــا بين بين
الذي مات مات ، ومن لم يمت قد أُسِر
وتعثرت في الرمل حتى نجوت

الجنرال : (مكملا) والقت عليك ستائرها الليلة المظلمة
وانهزمنا وفاز عمر
دائماً في معاركه ضدنا

دائماً ايها الكولونيل يفوز عمر
وتفوزون بالفخر والاوسمة (زاعقاً بجنون)
ايها الكولونيل اقترب
ان هذا الوسام ثقيل عليك
فدعه لغيرك يحمله عنك (ينزع الوسام ثانية)

اغرب الآن (يخرجون جميعاً .. ما عدا جينا
التي تظل واقفة بالباب) ..
جينا .. اتعتقدين بأني انهزمت .
(تفتح فـــاهـــا لتتكلم فيشيراليهـــا
بالسكوت)

بلى انت تعتقدين بأني انهزمت امامه
(يضحك)
وهذا محال المحال
(فجأة) اطمأني ..
فسوف اقيم ببرقه يوم القيامة

جينا : (بدهشة) تقيم ببرقه يوم القيامة

الجنرال : سأسجن سكانها اجمعين
تقولين كيف .. وتستغربين
سأجمع كل القبائل .. كل العوائل
اغنامهم ، ابلهم ، لن افرق ما بين عال وسافل
ما بين طفل بريء العيون وقاتل

جينا : واين ستسكنهم ؟

الجنرال : في القليل الأقلّ من الأرض
حيث يبيض الوباء وتعوي المجاعة

بعد المجاعة ، بعد المجاعة (لحظة صمت)
اراك تجهمت .. توشك عيناك أن

تصِفَا فكرتي بالفظاعة (بجنون)
هل قلت في السر يا للفظاعة
لا بأس .. هذا يؤكد لي انها فكرة عبقرية

جينا : (بألم) ستقضي عليهم جميعاً بهذا

الجنرال : سيهلك الفان ، عشرون الفا ، ثمانون ..
أو ربمـا

جينا : ثم ماذا

الجنرال : ساقضي على عمر والذين معه

جينا : كيف؟

اجعلهم في الصحارى وجوهاً بلا اقنعة
سيوفاً بلا أذرعة (يضع يده على كتفهـا في
سعادة وانتشاء) ..

جينا لا تعجبي ، فالطريق إلى ثائر كعمر
هو أن نعزل الشعب عنه (ببطء قاتل)
فيضعف شيئاً فشيئاً .. شيئاً فشيئاً ..
إلى ان يداهمه القدر المنتظر .

(يضحك مقهقهاً .. بينما تنظر اليه جينا
بذعر واشمئزاز – ينزل الستار) ..



الفصل الثالث



المشهد الاول

(جانب من معسكر كبير ، تحوطه الاسلاك الشائكة .. فوق الزاوية المواجهة للمسرح .. علم إيطالي .. وبجانبه لافتة مكتوب عليها : معسكر العقيله .. بالداخل خليط من الاهالي ونساء ورجالا وشيوخاً واطفالا - في حالة اضطراب .. وفوضى .. اصوات سخط وخوف وحيرة .. حارسان ايطاليان مسلحان يقفان خارج المعسكر .. احدهما دائم الحركة بمحاذاة السور .. الآخر يجلس على حجر كبير وهو يصفر ببلاهة .. بعد قليل يخرج من جيبه الخلفي زجاجة خمر ، ويتناول منها جرعة .. الوقت عند الظهيرة . .

امرأة مجنونة : (تندفع من خلل الزحام والضوضاء، منكوشة

الشعر)
امطري يا سماء عليهم لظى
امطري غضباً .. امطري لعنات

امرأة اخرى : قتلوا ولدي

امرأة ثالثة : احرقوا خيمتي

المرأة المجنونة : امطري لعنات

شيخ مسن : آه لولا الكبر

الثالثة للمجنونة: اصبري يا ابنتي

الشيخ : نحن أهل ٌ لما نحن فيه

رجل دين : وقال الرسول : سيأتي زمان على امتي

رجل مخمول : القيامة قامت

الرابع : سيقتلني القهر

الشيخ : أمس استراح سعيد من القهر

رجل الدين : لم يحتمل ان يرى

الرابع : كان ما بيننا واقفاً .. ثم خر .. ساقطاً كحجر

رجل الدين : وكثيرون ماتوا لنفس السبب

الشيخ : صدقوني سيأتي عمر

الرجل المجنون : وسآتي انا معه حاملا حربتي

الرابع(الثاني) : عذبوه فجن .. وفيم العجب ؟

الرجل المجنون : صدقوني سيأتي عمر

الثاني : ليتنا قد خرجنا معه

الاول : لو نفخنا بأفواهنا لتكلمت الزوبعة

المرأة الاولى : أمطري لعنات

الجندي الاول : اسكـتي يا امرأة

المرأة الاولى : قتله .. قتله . .

الشيخ : يا كلاب اوربا اطمئنوا قليلا

وكم من فئـة

الجندي الثاني : ايها الشيخ شكـراً

الجندي الاول : أتشكره للشتيمـة

الجندي الثاني : (ضاحكاً) قال اطمئنوا

الجندي الاول : اطمئنوا.. ولقّبنا بالكلاب

الجندي الثاني : وما الفرق يا صاحبي (ثم ينهض ويصعد على الحجر)

ايها القوم يا أهل ليبيــا اسمعوا

الشيخ : (الضوضاء مستمرة) تسمعون الوعود

الرجل الثالث : تسمعون الوعود

الشيخ المسن : زمان العجائب هذا زمان العجائب

رجل الدين : يا رب رحماك

الرجل الثالث : استغفر الله .. وجه الخطيب يذكرنا بالقرود

الرجل المخبول : وماذا يريد يقول ؟

الجندي الاول : اسمعوا .. بل وعوا

الرجل الثالث : قد سمعنا فماذا تريد تقول ؟

(يقترب الجندي الثاني ويقف متطلماً)

الجندي الاول : لماذا تخافوننا؟

الجندي الثاني : ولماذا السؤال ؟

الجندي الاول : لماذا ؟ لاعرف افكارهم يا جهول

الجندي الثاني : الاجابة في هذه البندقيـة
(قالها ومضى في حركته البندولية اللامبالية)

الشيخ المسن : (يسأل من بجواره)
أعِد لي ما قال يا ولدي ان سمعي ضعيف

الجندي الاول : (بأعلى صوته لزميله)
وماذا إذا امتلكوا مثلها

الجندي الثاني : (من بعيد) هه ..

الرجل الثالث : يقول الاجابة في هذه البندقية

الجندي الاول : اني أرى انكم خائفون من الخوف

الشيخ المسن : أشهد أن الخطيب الصفيق يقول الحقيقـة

الرجل الثالث : أنحن نخـاف من الخوف

الشيخ المسن : يا عمرو لا تتعجل وماذا تسمي الذي نحن فيه .

الرجل الثالث : هـو الضعف

الشيخ المسن : سيان ..

رجل الدين : لا .. لا ففي قلة الدين شراً لبلية

الجندي الثاني : (يقترب ثانية)
كفاكم زعيقاً (تصرخ المرأة المجنونة)
وأنت اعقلي يا امرأة

المرأة المجنونة : امطوي لعنات

الشيخ المسن : هو الخوف يا عمرو

الرجل الثالث : يا خالقي ملء حلقي مراره

الرجل المجنون : سوف يجيء

المرأة المجنونة : الكلاب

الجندي الثاني : اخرسي يا امــــرأة

الرجل الثالث : نحن مثل الذين يغطون أوجههم بالتراب ..
ويستنكفون إذا ما وصفت ملابسهم بالقذاره
(يهمس الرجل المجنون ببضع كلمات في
أذن الشيخ المسن ، ثم يبتعد ضاحكا .. بينما
تتابعها المجنونة ثم تلتقط حفنـــة تراب ،

وتقذف الجندي الاول ولكنه يترك جانباً
قبل أن يصيبه الرذاذ ويصيب الجندي
الثاني ..)

الشيخ المسن :أصبت

الجندي الثاني: صبرت عليك طويلا ـ ولابد أن ..
(يشد زناد بندقيته ويصوبه نحوها)

المرأة المجنونة : أمطري لعنات (تتقدم فاتحة صدرها)

الجندي الثاني: دْع الحمق .. وأحذر ..

المرأة المجنونة : أتحسبني خفت .. هيا .. هنا يرقد الخوف
ميتاً .
فخذ جثة الخوف .. خذها وُعدْ لبلادك
(ترتعش يد الجندي)

عد لبلادك .. ويعتريه رعب هائل .. تحدق
في وجهه وتقهقه) .
ها انت تحملها بين كفيك
تحملها بين عينيك

تحملها بين جنبيك
هه .. هه

(يتلفت الجندي الى زميلـــه ، ثم يخفض بندقيته .. ويرجع الى حركته الجندولية .. تتوجه بحديثها الى زملاء المعسكر) .

يقولون مجنونة .. انا مجنونة .
ايها العقلاء

(تنخرط فجـأة في البكاء .. تقترب المرأة الثالثة وتربت على كتفها مواسية) ..

المرأة الثالثة : اصبري يا ابنتي

المرأة المجنونة : انا مجنونة ؟

المرأة الثالثة : لست مجنونة انما هؤلاء

المرأة المجنونة : كلهم هؤلاء ـ هؤلاء ..

(تتقهقر بذعر .. تنفلت هاربة وتختفي في الزحام ، يظل الضجيج)

الرجل الثالث : صدقت ، فالمجانين نحن ..

الجندي الثاني: (يتحدث الى شخص قادم نحو المعسكر)
قفي من تكونين ؟ اقبلت من اين ؟

العجوز العمياء: (تظهر العجوز العمياء تقودها الطفلة سلوى)
من هذه الارض ..

الجندي الثاني :لاتسخري تقدمي .. قلت من اين ؟
(تكون قد اقتربت فيتأكد من شخصيتها)
ايتها الذئبة الماكرة

كل يوم تدورين مثل الرحى الدائرة
اولم تتعبي ؟

العجوز العمياء: هل شكوت اليك ؟

الجندي الاول : يقولون انك اعلم قارئة للغيوب

العجوز العمياء: العلم هو الله (تقعد أرضاً وتحرك عصاها)

الجندي الثاني: (ساخراً) يا صاحبي سيموت
سوف تموت غريباً ، وترقص رجلاك يومين في
المشنقة ثم من بعد شنقك فوق شعاب الجبل
سيقولون عنك بطـل (يقهقـه ويعود

لحركتــه)

العجوز العمياء: (بغضب) لا تصدق فسوف تعيش
وغيرك من سوف
يشنق فوق الجبل..
ثم يغدو بطل

لا تصدق (يكون الجندي الثاني قــد اقترب ثانية)

الجندي الثاني: كفاك اذهبي ياعجوز .. اذهبي

المرأة المجنونة : (من الداخل)
امطري لعنات
امطري .. امطري

اصوات متداخله وضجيج : يا ابنتي
سوف يأتي
الكلاب
سيـأتي عمر
يا عمر.. يا عمر (يتقدمون تجاه الاسلاك)..

الجندي الثاني: (وقد أخذ وضع إطلاق النار)
في المعسكر .. لا تترفق بهم .. فهي ثورة ..
ثورة ..

الجندي الاول : أطلق النار

صوت داخلي : يا ليبيا حرة أنت .. يا ليبيا انت حرة ..

الجندي الثاني: أطلق النار

الجندي الاول : لا تتــوقف

صوت من الداخل: كلاب

الجندي الثاني: هنالك

صوت من الداخل: يا ايها المجرمون

صوت آخــر : سيأتي

صوت آخــر : عمر

صوت امرأة : آه

صوت من الداخل: يا ويلكم

آه .

(تختلط الاصوات وطلقات الرصاص ..
ويحاول بعض الموجودين بالمعسكر تسلق
الاسلاك فيسقطون قتلى وجرحى .. تشتعل
بعض الحرائق .. يندفع جنود من جوانب
المسرح . . يأخذون في إخماد الثورة . .
رويداً رويداً يسيطر الهدوء .. يظهر
غرازياني ومعه بعض معاونيه يتحرك بعصبية
وهو يتفقد آثار المعركة .. الادخنة وبقايا
الحرائق ما تزال .. يشير غرازياني إلى أحد
الاحياء داخل المعسكر ..) .

غرازياني : اعدموا هذا (يندفع جنديان فيقتادان
الرجل)
وتلك المرأة السمراء (يندفع اليها جنديان
آخران بينما يميل غرازياني على من بجانبه) .
في نظرتها حقد دفين علينا

المراة السمراء: (تحاول الانفلات من بين أيدي الجنود)
ايها الكلب

غرازياني : (للجنود) وذاك الرجل الاشيب (لمن بجانبه) مشرود على عكازه كالمومياء (يضحكان)
(للجنود) واجلدوا تلك .. امامي الآن ..
(صارخاً) جروها .. وتلـك المرأة العميـاء

(بعد لحظة)
اوه .. انها قارئة الغيب .. دعوها
(لمن بجانبه) تقرأ الغيب وقد تصدق احياناً
(للجنود) دعوها

(لمن بجانبه) انها لا تعرف الكـره ولا الحب ولا ..

(للمرأة العمياء) يا ام سلمى ابتعـــدي (لمن بجانبه) لو انهم كانوا جميعـاً مثلها ارتحنـــا (يضحكان)..

المراة السمراء: (صارخة وهم يمزقون ملابسها)
كلاب .. يا كلاب

غرازياني(للجنود): علقوا في رأسها الحبل

(لمن يجانبه) ولا ارتاحوا . . (لنفسه) وان كنت سأشقى أنا وحدي بالتفاهات التي تدعى السلام . .

جندي : (قادم من جانب المسرح)
قائدي

غرازياني : (ينظر اليه دون اهتمام)
حينئذ يحذو عناق الموت (يهمس الضابط الذي يجانبه في اذنه ببضع كلمات) ما المرأة ؟

ما الحب (ساخراً) الجمال القوة ، السطوة ، ان تقتل لا ترحم ، لا تعرف إلا الانتقام

(يضحك) يا صديقي بعضهم مهنته الحرب واما انا فالحرب حياتي الابدية . . ولهذا أكره السلم . . بلى فالسلم جاسوس قديم في ضمير البشرية (يلمح الجندي واقفاً) ايها الجندي ما بالك ؟

(يقترب ويهمس في اذنيه) القيتم عليه

القبض حياً ؟ وتعرفتم عليه ؟ (يضحك ساخراً) .
أطويل أم قصير هو ؟ ضخم ملتح ؟
كهل مسن ؟ أم صغير ؟
ومن الفارس ؟ من القى عليه القبض ؟
هل انت ؟ ام الفارس غيرك ؟
قل تكلم

الجندي : (بخوف) كان بين اثنين من اعوانه حين دهمناهم وما زلنا بهم ، حتى هوى الاثنان مقتولين . .

الجنرال : (ساخراً) ثم استسلم الشيخ ، كما يزعم حياً ، وتعرفتم عليه

الجندي : ظل يعدو نحونا مستقتلا في عنفوانه
يطلق النار علينا ويعود
هادراً مثل الرعود
وتكاثرنا عليه ، فأصابته رصاصة
فطواها صابراً ما بين جنبيه وكبر وأصابت
طلقة طائشة ساق حصانه فتلوى وتعثر ..

وتراكضنا اليه وهو في قبضتنا الآن جريح ..

الجنرال : (لحظة صمت)

ربما ائتوني به فوراً ، فقد اعرفه ، والويل

لك ولي الويل من عقابي في غد لو اكتشفت

كذبك (يذهب الجندي)

ولي الويل إذا صح الخبر

وله الويل إذا كان عمر

يعود الجنرال من حيث اتى ويتبعه

الضابط بينما يقف الجنود شاهري اسلحتهم ..

يسود الهدوء والظلام رويداً ..

المشهد الثاني من الفصل الاخير

(نفس المشهد السابق .. المعسكر والمعتقلون والضوضاء في المواجهة .. الجنود شاهروا الاسلحة .. الى اليسار منصة القضاء وامامها عدد من المقاعد .. الى اليمين مشنقة خالية .. يتوافد بعض المتفرجين .. يتخذون اماكنهم .. حركة غير عادية ، يعقبها دخول عمر المختار في تؤدة ومهابة .. الحراس يحيطون به ، والقيود في قدميه ورجليه .. يخيم صمت عميق على المعسكر .. عمر يتجه بناظره ناحية المعتقلين لحظة .. لايتكلم .. يهمس بعضهم ، ثم يرتفع الهمس شيئاً فشيئاً) ..

صوت رجل : ها هوذا جاء

الرجل المجنون: ألم اقل لكم سوف يجيء ؟

صوت رجل : شامخ الجبهة مثل الجبل الاخضر

صوت آخر : إنه عمر
نحن خذلناه .. تركناه وحيداً وشريداً
نحن أسلمناه راضين إلى اعدائنا
لو اننا اخترناه لانتصرنا وانتصر

صوت امراة : يا عمر المختار .. ناديناك يا سيدي عمر

صوت اخرى : هل انت ناقم علينا ؟
(يستدير عمر بوجهه قليلا ثم يعود)
نحن جميعاً نادمون

صوت رجل : انه ينظر في صمت الينا

صوت رجل : ان في نظرته حزن سنين

صوت الرجل الحليق : (ساخراً) انت قد اوقعتنا في هذه الورطة ..
فاهدأ واطمئن

صوت رجل : الحجر الساقط لن يخدش وجه الشمس
يا فأر الحظيرة النتن ..

آخر : حتى وراء السجن تقبض الثمن

صوت المجنون: يا سيدي عمر .. يا سيدي عمر
(تخترق الجموع .. تقف عبر الاسلاك)
ما رأيك الآن .. لقد صرت بلا رأس .. فما رأيك ؟

صوت رجل : يا سيدة ارجعي

صوت الجندي : ارجعـي

صوت رجل : (لعمر) لا تستمع لهـا

صوت امراة : ارجعـي

صوت المجنون: (متشبثة بالأسلاك)
أوقعتنا في هذه الورطة

صوت امراة : يا سيدي عمر

صوت اخرى : لا تكترث للغوهـا

صوت رجل : مجنونة كأنها في فرح (يشير للخائن)
وخائن لا يستحـي

صوت رجل : احملها بعيداً (يحملهـا بعضهم)

آخـــر : اذهبوا بهـــا

صوت المجنون: يدي.. يدي

(يبتعد صوتها حتى يتـــلاشى .. وبصوت هادىء عميق يتكـلم عمر ..)

عمر المختار : لعلهاتؤلمها..

لم تجرح الاخت شعور احـــد

ليغفر الله لها

صوت رجل : معذرة يا سيـــدي ..

أسأل لو اجبت

سوف تفيق الصحراء من سبات الازمنة

وسوف تكسو عريها الحرائق الملونة

وتستريح من عذابها الايادي الخشنة

كذا يقولون لنا

عمر المختار : قولوا لهم

ولن تمضوا بمجد شعبنا

وكبرياء ارضنا

عودوا إلى بلادكم ، فالريح تلهو بدخان المدخنة
والحر ليس يشترى . ولا يبيع وطنه .

صوت رجل : يا سيدي إذا سمحت
اسال لو اجبت
وانت في اغلالهم ، هل انهزمت ؟
معذرة يا سيدي

عمر المختار : لا تعتذر
انتصرت إرادة القضاء والقدر
وما يزال الحق والطغيان في الميزان
وفي غد ستنتصر
إرادة الانسان

صوت رجل : هل عذبوك

عمر المختار : تسألوني عن العذاب
ليس وراء غربة الاوطان من عذاب

صوت رجل : كنت لنا الثورة .. كنت صوتها ويدها
يا سيدي .. لو قتلوك

فما الذي يبقى لنا ؟

عمر المختار : تبقى اليد الكبرى التي امتدت بها إلى يدي
يد الجموع الباقية
تشعلها تحت الرماد ثانية

صوت رجل : يا سيدي انصحنا

عمر المختار : اضيئوا .. واحذروا ان تخمدوا
واتحدوا .. اتحدوا

(يرتفع صوت احد الرجال المعتقلين بالاذان .. تستولي على المعسكر حالة وجدانية .. عمر يرفع كفيه ووجهه إلى السماء . .

يتمتم بصلوات غير مسموعة .. بعضهم يصلي .. يدخل ثلاثة رجال ، اولهم في ملابس جلاد والثاني مساعده ، يتجهان نحو المشنقة ، على الفور ويتفقدانها ، ويجرون بعض الاختبارات للتأكد من صلاحيتها للعمل .. بينما ترتسم ابتسامة بليدة ، على شفتي الرجل الثالث ، الذي ينهمك في تنظيف مقاعد القضاء ببطء ..)

الرجل الثالث(لنفسه): بعناية.. بعناية
فمقاعد الفاشيست مثل وجوههم ونعالهم لا
بد من تنظيفها بعناية . .

الجلاد(لمساعده): بعناية . . يا أحمق اجذبه اليك . .
اردده.. أرخ الحبل.. وارجع خطوة واعقده
هذا الحبل أثمن منك . .

مساعد الجلاد : كم يسوى ؟

الجلاد : كثير

مساعد الجلاد : قدر أجرك ؟

الجلاد(ساخراً) : قدر أجري فوق أجرك (ضاحكاً)
أجرنا عن ألف رأس مثل رأس الشيخ..
(ينظران تجاه عمر وهو ماض في صلاته)

مساعد الجلاد : رأس الشيخ .. لم يجيء القضاة العادلون ؟

الرجل الثالث لنفسه: تأخروا .. ولقد فرغت من النظافة . .
فلان جسدي (يجلس على احد مقاعد القضاة)

الجلاد : (لمساعده وهو يجرب حبل المشنقة بوضعه

حول عنقه)
استرح

مساعد الجلاد : (متململا) عنقي ..

الجلاد : سمين مثل عنق الثور

مساعد الجلاد : اوشك أختنق

الجلاد :(وهو بعد ان انتهى من احكامه .. يتأمله معجباً)
بالضبط ..

مساعد الجلاد : (يتأوه) اني اختنق

الرجل الثالث : (لنفسه)
غيري يمل الانتظار ..
اما انا

مساعد الجلاد : (للجلاد بعد ان اخرج رأسه من حبل المشنقة)
لتكاد تقتلني

الجلاد : (في صخبه)

تموت الاسد في الغابات ، فاهنـــأ في خلودك
يا حمار

يستهزءون .. ويسخرون .
ونحن نرقبهم
وماذا نمتلك

الا التفرج في سكون
ونمتلك
ايماننا في قلب عاصفة الجنون
ما يعجزون عنه

ونمتلك الارادة والضحك
(يتبادلان الضحك .. يضحك ثالث ورابع
يدوي الضحك في المعسكر كله يهبط الرجل
الثالث من مقعد المنصة .. الجلاد ومساعده
يحرقان في ذعر .. عمر يظل في صلاته ..
الجنود يتحركون دون اتجاه .. يهرع احد
الجنود معلناً وصول القضاة ..
يدخل غرازياني ووراءه عضوا المحكمة ..

يأخذون مقاعدهم .. لحظات صمت ..
يقف غرازياني ثم ينحني على المنصة في وضع
هزلي .. يضرب المنصة بكلتا يديه)

غرازياني : والان يا حضرات اعلن (يلوّح بورقة في
يده)
أف ان الجو حار ..

عضو اليمين : الجو حار

عضو اليسار : الجو حار

غرازياني : والآن أعلن أن محكمتي الموقرة ..
أرتأت
ان المحاكمة انتهت.

ظلام

المشهد الثالث من الفصل الأخير

(تأوهات كورالية حزينة آتية من بعيد .. تقترب تدريجياً خلال الظلام السائد .. حتى تبلغ قمتها الانفعالية .. ثم تنخفض ببطء .. المرئيات الآن اكثر وضوحاً .. المسرح صحراء خالية ممتدة إلى الداخل .. إلى اليسار من النصف الخارجي ، تبدو المشنقة ، تتأرجح في طرفها جثة رجل .. يدخل من الجهة اليمنى شخصان ملثمان في حالة اضطراب .. يقفان لحظة في خشوع أمام الجثة المعلقة) ..

الرجل الاول : كان كما كان النبيون

الرجل الثاني : سلاماً يا عمر

الرجل الاول : سلاماً يا عمر

(تخنقها العبرات .. يخرجان من الجهة اليسرى .. شبح العجوز وابنتها قادمتان ركضاً من عمق المسرح تقتربان) . .

العجوز : هل اقتربنا

سلمى : جسد معلق في المشنقة

العجوز : قلبي عليه .. ودمي فداه
كأنما أراه (تقف في مواجهة الجثة)
كأنما أصغي إلى وقع خطاه
(تتحرك حتى تلامس القدمين المدلاتين)
يا سيداً في الحالتين : الموت والحياة
أكبر من كل معاني الموت والحياة

انت . .
ومن فجيعتي فيك ، ومن نحيبي
هل انت هذا الجسد البارد .. يا حبيبي
(تعود الاصوات الكورالية . . تتوقف العجوز متنكرة)

يبكين من ؟ قد كان يكره البكاء
(توجه الحديث إلى الكورال الغائب)
اخجلن من إرادته
كانت تضيء الظلمات .. من مهابته
من رايته
مصبوغة بالدم واللهيب ،من جواده الذي عثر ..
من سيفه الذي انتصر
ثم انكسر .. (تتوقف لحظة) ..
يا اخواتي الحزن نار
والدموع لا تطفىء النيران
فليبق هذا الجسد المرفوع
فوق تراب القبر والاكفان

(تزداد الاصوات الكورالية عنفاً . تدور العجوز مع حركة دوران الاصوات)
كما تمثلتك امس ، فارس على جواد
مسرج بالمجد والبهاء
يقتطع الصحراء
طولا وعرضاً ، مشرقاً ومغرباً

كأنما انت على صهوته
قبة نور تلمس السماء

الكورال : يا ام سلمى ابتسمي

العجوز : كمثل صوته

الكورال : لا تيأسي

العجوز : وحدي انا

الكورال : الطريق ليست خالية

العجوز : ومهرجانات الشعوب آتية ويحيى بعدموته .

صوت : يا ام سلمى ابتسمي

صوت : سوف يعود ثانية

العجوز : يعود ؟

صوت : كما تعود الريح من رحلتها الكبرى إلى مدارها

صوت : كما تعود الارض من اودية القحط إلى اخضرارها

الكورال : كما تعود الشمس من جديد
يعود .. يعود .. يعود

العجوز : أضحكتني من انت ؟
دعني أرى وجهك الغريب

الكورال : لن تريني

العجوز : وكذاك الميت لا يعود

الكورال : يا ام سلمى

العجوز : (تتوجه إلى الجسد المعلق)
أتراهم كيف يسخرون بي ؟
يا بطلي الشهيد يا ابني وحبيبي وأبي

الكورال : سوف يعود

العجوز : ياحبيبي وأبي

الكورال : سوف يعـود

العجوز : انها الغربة يا ابني وابي

الكورال : سوف يعود

العجوز : آه يا ابني وحبيبي وابي
(تجهش باكية . تتحول الا صوات الكورالية
الى عاصفة .. لحظات .. ظلام) .

المشهد الاخير

(في مواجهة الصالة ، شرفة واسعة ، عربية الطراز ، مرتفعة نسبيا عن الأرض ، ملحقة بالطابق الأرضي من بيت أم سلمى ، بشارع عمر المختار .. باب الشرفة مفتوح على مصراعيه ، بحيث يمكن للجمهور مشاهدة ما يجري وراءها .. على يمين الباب ، نافذة صغيرة مغلقة ، تغطيها أوراق نتيجة حائط مكبره ، تحمل هذا التاريخ : ١٩٣٣ ـ (السنة التي اعدم فيها البطل عمر المختار) ..

الضوء يتركز فوق الشرفة .. بينما الشارع يكسوه ظلام وسكون .. نلمح اشباحا جامدة ، لعدد من المواطنين ، واقفين في زوايا واركان الشارع .. تمر لحظات ، ثم ترى سلمى قادمة من الداخل .. تستند على سور الشرفة .. تنتقل ببصرها ، في

كآبة تجـاه الاشباح الجامدة .. تتجه الى النتيجة ، وتأخذ في انتزاع اوراقها ببطء .. الورقة تلو الورقة .. حتى تصل الى الورقة الاخيرة ، التي تحمل هذا التاريخ ، ١٩٦٩ .. تتوقف وقـد استبدلت بملامحها القاسية الحزينة ، ملامح اطمئنـان وفرح .. ترفع يديها ووجهها إلى السماء في ابتهال .. تسمع اصوات موكب قادم .. تخرج ام سلمى إلى الشرفة .. ملتفـة بثوب في شكـل العلم الليبي .. يضيء الشارع فجاة .. سلمى تجري لترتمـي في أحضانها .. تبدو في مقدمة الموكب ، المؤلف من ثـلة ، من الجنود الليبيين ، يتقدمهم حامل العلم .. تتحرك الاشباح الواقفة .. يقبلون على بعضهم بعضاً .. ينضم آخرون إلى الموكب الصاخب .. تحضر ام سلمى رأسها ثقة ومحبة ثم تدخل .. يتحرك الموكب في صخب .. يتلكأ اثنان .. قبل أن تغيب مؤخرة الموكب .. ياتي صوت أم سلمى من بعيد .. الوقت ضحى ..)

صوت ام سلمى: احتضنوا أحلامكم وامضوا
استعدوا دائماً للتضحيات
فالفرح الكبير آتٍ

الرجل الاول : زهير .. ذاك صوتها

زهير : بورك من صوت

الرجل الاول : لقد كانت

زهير : تقول انها كانت
وتنسى انها في دمنا الشوق
وفي عيوننا الارادة
ارادة الأجيال والزمن

الرجل الاول : زهير .. غاب الركب فلنسرع اذن
(يختفيان)

ستار النهاية

ابتسمي حتى تمر الخيل

الاهداء

الى تلك التي تعبق في وجودي كله :
وتغزل رؤيا الشاعر وموسيقى
الشعر .

م. ف.

ابتسمي حتى
تمر الخيل

هذا مسارُ نجمهم ..
أيتها الحبيبة ، الغريبةُ
الحبيبة الكئيبةُ
الحبيبة ، الجمالُ والدمامهْ
هذا مسار نجمهم ..
يركض في الزاوية الكبرى
قليلاً ..

ثم ينهار رماداً ..
راسماً في جبهة الشرق وعينيه
علامهْ
شهادة الميلاد ، والموت
وشارة القيامه
فابتسمي
حين يجيء قمر الثورة في أردية
القتلى
ويمشي الهودج الأسود محمولاً
على محفّة الأصيل
ابتسمي
حتى تمرّ الخيل
والبيارق المذهّبه

فالخيل ليست خيلنا نحن ..
ولا الصهيل ..
واختبئي في مطر الضفائر
المضطربه
وكبرياء حقدك الجميل
فالبطل القتيل
ليس هو القتيل
وأنت يا حبيبتي المعذّبه
متعبةٌ
أعرف يا كم أنت جِدّ متعبه
الدمُ والطاعون في الثديين
والمخلب ، والمنقار حول الرقبه
والليل ، والأغربة العرجاء

والوحشة ، والرحيل

★★★

هذا مسار نجمهم ..
هنيهةً ، ثم يغيب النجم
لن يمكث إلا ريثما ينهمر الغيم ..
وتصحو زهرة التاريخ ..
لن يجتاز بحرَ الموت إلا
قدما حبيبتي ..

العاريتان
القدمان ، الموجتان ..
الشعلتان ، القلعتان ..
لن تغنّي شفة عاشقةٌ
في شفة عاشقة

إلا إذا تبسَّمَتْ حبيبتي
والنجم لن يمضي بعيداً
ـ آه .. يا عيني على الجرح
الذي يصبح متراساً ..
على قافلة الموت التي
تبني جدار الموت ..
يا عيني عليها ..
وهي بين الصخر والبحر ..
وآلاف المناقير ..
وآلاف المخالب ..
ـ وأنت يا من يتعالى أسمُكِ
بين الصخر والبحر ..
هم الساعة ، آلافُ المناقير

وآلاف المخالب

لكي تصيري حبة القمح ..

سيأتونك في أجنحة الريح ..

وأصوات الغرانيق

وأنفاس الحرائق

لكي تصيري دُرَّةَ السَّبْي ..

سيأتونك بالتيجان والبيارق

وكلمات الله ، والبنادق

لكي يروا مشنقة الثورة في

عينيك

لا .. ليس سوى مشنقة

الثورة في عينيك

لا .. ليس سوى ..

فابتسمي ..
أيتها الحبيبة الغريبة ..
الحبيبة الكئيبه
الحبيبة ، الجمالُ والدمامه

★ ★ ★

هذا مسار نجمهم ..
يركض في الزاوية الكبرى ..
قليلاً
ثم ينهار رماداً
نجمهم علامَه ..
شهادة الميلاد والموت ..
وشارة القيامه !

فابتسمي ..
أيتها الحبيبة الغريبة ..
الحبيبة الكئيبه
الحبيبة ، الجمالُ والدمامه

★ ★ ★

هذا مسار نجمهم ..
يركض في الزاوية الكبرى ..
قليلاً
ثم ينهار رماداً
نجمهم علامَهْ ..
شهادة الميلاد والموت ..
وشارة القيامه !

البطل يعبر
إلى المعشوقة

– ١ –

كان محفوراً على مرآة عينيه ..
اللتين امتدَّتا ..
جسراً من الفولاذ والنار
أمامه

أنَّها الساعة ..
لا أملك الا وردة الروح ..
فيا سيدتي الأرض ..
اقبليني حارساً في ظلّ عينيك ..

ومسَّتْ شفتاه
فم معشوقته الأرض ..
وأحني فوقها رأس إلَـه
وأطلتَّ من زوايا فمه القاسي
أبتسامه

— ٢ —

زمنٌ مرَّ علينا ..
ساعةٌ من زمن ، مرَّت
على غربتنا .. أم سنوات !
طالما زُرتُك في الحلم ..
خلعت الحزن والخوف الجحيمي ..
وأسوار الهزيمه
وتفجرتُ لدى أرجوحة النهر

رصاصاً وقنابلْ
وتجسدت رعوداً وزلازلْ
وجيوشاً تعبر البوابة الكبرى ..
وتاريخاً من المأساة والصمت ..
يقاتلْ ..
ويقاتلْ ..
ويقاتلْ ..
كنتُ يا عطر الحضارات ..
ونيران القبائل
كلما أضحكني الباكون في المأتم ..
أبكتني الجريمه !
كنت – في حلميَ – لا أرجع إلا ..
ونجوم الوطن المحتلّ في صدري ..

وأحجار السموات القديمه ..

-٣-

زمنٌ مرَّ ثقيلاً .. يا بلادي ..
كنت أعرفْ ..
انه عصر الحيانات التي تنبت
تحت الجلد والعظم ..
وأعرف ..
انه عصر النبوات الشهيده
يولد الثائر في مستنقع القهر ..
كما تولد في الغيم الأعاصير
كما تولد في مستنقع الموت ..
المخاضاتُ الجديده !

- ٤ -

كنتُ أعرفْ ..

وأنا أزحف تحت المطر الغربـيِّ ..

تحت المطر الشرقي ..

تحت الشرفات الصدئه

وأنا أزحف فوق الدم ..

أستبطىء إطلالة أجفانك ..

أشتاق ..

أغَنِّي ..

للبساتين التي تزهر في ذاكرتي

الآن ..

أخوض الساحل الصخري ..

أستنشق موج العبق الآتي

من الغيب ..

اسألي ما شئت ..

بعضي أُمةٌ تنزف ماضيها ..

وبعضي يتغنى ..

— ٥ —

كنت أعرفْ ..

وأنا أصرخ في القافلة

النائحة

المنكفئهْ

اني أحمل أجيالاً من الأفراح

في حزني

وأني إن تساقطتُ ..

فلن أسقط إلا في ذراعيك ..

وفي مجدك أمتدُّ ..
وأفْنى !

— ٦ —

كنت أعرف ..
وأنا أحتضن الراية من
مَنفى لمنْفَى
أنهم إن قتلوني
مرة واحدة ..
أولد في عينيك ألفا

— ٧ —

إلبسي زينتك الآن ..
فقد جئت
وها إني أقاتل
وأغني ، وأقاتل
وأغني ، وأقاتل

ايقاعات قبل مارش النصر .!

— ١ —

ممتدةٌ زوارقُ الشمس ..
هم الآن ، على مشارف الأفق
يضيئون دُجى سيناء والجولان ..
يا رايات
يا قامات
يا جباه
لن تنطفىء ثانيةً ..

توهَّجي .. توهَّجي ..
حتى تضيء المدنُ الخرساء
والأعشاب
والصخور
والمياه !

– ٢ –

أصرخ فيهم ، باكياً ، مضطرباً ..
من فرحي

تأخذني الدهشة ..
وارتعاشة اليقين
ما أروع الآية ..
يا من يركض التاريخ في غباركم ..
يا غابة الرجال

أيها المقاتلون
الله في آفاق هذه العيون
المشمسه
الله في أجنحة الحرائق
المقدسه
في عزة الصدور ، والسواعد القويه
الله في كرامة الأرض ، وفي
عدالة الثأر . وفي الحريه

— ٣ —

من قبل أن تشتعل الحياة
في عظامكم ..
سبيةً كانت صبايا كم ..
حزينة كانت وجوه الأُمهات ..

وكانت العتمة والثلوج ،
فوق الزهر والنبات ..
والعقم في النواة
مباحةً كانت عذاراكم ..
وأنتم تغسلون عارهُن الآن ..
تكسرون قيد الأرض ..
لا .. لا تقفوا
إلا على هيكل اسرائيل
لا .. لا تقفوا
إلا على مقبرة المحتل والدخيل
تباركت ارادة الارادة المقاتله
وكبرياء الأمة المقاتله
والراية المقاتله

والثورة المقاتله

— ٤ —

أتذكرون ؟
كان حزيران .. وكانت أعين الموتى ..
أتذكرون ؟
كان المرابون ، يعلقون الأوسمه
فوق صدورهم ..
وكان الهمجيون ..
وحفارو القبور
وانطمرت مصاحف العزة
تحت الدم والوحل ..
أتذكرون ؟
يوم هوى الفارسُ

يوم احترق التاريخ بالنار
وغاص البيرق الكبير ..!
أتذكرون ؟
قهقهة المومس ، والقاتل ،
والقواد ..
وخيمة الجراد
حينئذ تقاسموا الغنيمة
وكانت الهزيمه
جلجلة الناقوس في صبيحة المزاد !

— ٥ —

تذكروا ..
ان الذين ذبحوا أطفال دير ياسين
وأكلوا أكباد أمهاتهم ..

وسرقوا أرض صلاح الدين
لو قدروا ، فسوف يرجعون
ليذبحوا ثانية أطفال دير ياسين
ويبقروا بطون أمهاتهم ويهدموا قبر صلاح الدين

— ٦ —

تذكروا .. وقاتلوا
وانتصروا .. وقاتلوا
وقاتلوا
لا تقفوا إلا على هيكل إسرائيل

قراءة
في
عيون يغسلها الدمع !

تصبحين التوقع والحلم ..
حيث تغيم سماء التوقع والحلم ..
حيث تغوص عصور الرؤى
والغرابه
وتصير المسافات والريح أقبيه ..
والوجوه التي تعرفين تغيب ..
وتوغل فيها جذور الغياب ..

ويسكب ظلمته ألف باب وباب ..
تصبحين كتاب الفرح
تصبحين كتاب الكآبه
ودفوف القوافل ..
والهودج العربـي المسافر
فوق رمال الصحارى ..
تصبحين البروق التي ترسم
الضحكات ..
البريئــة ..
ملء العيون السهارى
تصبحين الأيادي التي
نقشت سقف لبنان بالشمس ،
والشعر والأبجديه

والاغنيات التي اختبأت في
كهوف الجبل
تصبحين كتاب الهوى والغزل
لمُغَنٍّ حزين ..
يجيء من الغيب ..
تثقله الذكريات ،
وتركض في جانبيه
رياح الأزل

★ ★ ★

تصبحين المدائن والجزر الساحليه
ترضعُ أطفالها في ظلام الظهيرة
تشمخ فوق العذاب
وتبصق فوق الجريمه

تصبحين قرار الإياب
ورفض الهزيمه !

★ ★ ★

أترين ؟
أأبصرت كيف يصير الزمان ..
قطاراً بطيئاً ..
مداراً بلا غاية ..
والكبار .. الكبار صغاراً
وزهور الخيانة
فوق الرؤوس الحليقة غاراً !

★ ★ ★

أترين ؟
أأبصرتِ ، كيف يبيعون

في السوق

آباءهم ..
وجماجم أبطالهم ..
كيف يلتمع الوحل ، حتى
تعلقه الامهات قلائد فوق الصدور
كيف تلفظ أحشاءها
كل تلك القبور !

★★★

آه ..
أيتها النجمة الموسمية ..
أيتها الكلمة المريمية ..
ان حاكم تلك المدينة ..
والدركي الذي جعل الشمس

سجادة من دماء
وأقواس نصر على البحر ..
خانوا القضية !

★ ★ ★

آه .. يا طفلتي المرميه !
أي أرض ستحملهم في غدٍ
حين تلمس أجفان عينيك
وجه الذي تعرفين !
وتنبت كفك زنبقة
في جراح الضحيه !

الطفل والشمس

دائماً يتألَّق وجهك في حائط
الصمت ..
تنشقُّ جوهرة الصمت عنك ..
وتبدو الأميرة قادمة من عصور
الكهانة والسحر ..
رائعة توقظ الردهات
وتفضح بهو المرايا

★ ★ ★

دائماً يفتح الشرق أبوابه الحجرية ..

أسمع وقع دفوف القيان ..
وأقبية الزمن الرطب تهبط ..
والدرج القمري يضيء ..
وأذرعة الشوق ممدودة في الزوايا
وتأتين خارجة ..
يا عشيقة شعري
تأتين خارجة ..
في ثيابك جارية الملك القرطبي
وفي شفتيك اخضرار النقوش
وتنهيدة الملكات السبايا
وأغرس عينيّ فيك ..!
أصير أنا الطفل والشمس ..
تعويذة الطائر المترنح والقوس ..

يا أنت ..
كوني جميع النساء
أكن انا كل الألى عشقوك ..
أنا العشق والشعراء
أنا كل من عشقوك

★ ★ ★

وتفجؤني شارة البرق والرعد ..
تولد في جسدي مدن البرق والرعد ..
كل اشتعال المساجين ..
كل أرتجاف الضحايا
وتأتين خارجة ..
لست أملك إلا التوهج والحلم ..
إلا حروفا وصوتا

وقلبا يغني ، ويسقط ميتا ..
عرفتك ..
هل تغفرين ؟
فإني عرفتك
هذا الذي في فمي كلمة ..
وأحاول أن أترنم باسمك ..
لكنهم نبتوا في فمي ..
زاحموني إليك ..
وها آنذا يا مليكة أرجف ..
ها آنذا أقف الآن في آخر الصف ..
أرفع راحة حبي التي لن تريها ..
ألوح مضطربا ..
في يدي وردة هي قلبي ..
أغوص وحيداً .. وحيداً ..

أنا الأرض والسحب ..
آه .. لقد سبقوني ..
فأي الهدايا يمر بها شاعر
عبر عينيك
أيقونة من خزائن فرعون ؟
أم خاتم من كنوز سليمان ؟
أم نجمة من سماء بلادي ؟
أي الهدايا ؟
فقد سبقوني
وتأتين خارجةً ..
كبرياء جمالك يصعقني ..
وأكاد أصيح ..
أأنكرتا مقلتاك ، ردائي ؟
أم لغتي ؟

ما الذي أدهش التدمرية ..
من لغتي وردائي ؟
وتأتين خارجة ..
بعضنا ينكر البعض
يا لكآبه
بعض كآبتنا أننا فرح البعض ..
لا .. لا غرابه
فلنتحد بالغرابه
ولنتحد بالبكاء

★ ★ ★

وتأتين قاسية الصمت
عبر جنوني
وتمضين قاسية الصمت
عبر جنوني !

عذاب
هذا العصر

— ١ —

تنسين طير البرق ، ينزف جرحه
النبويّ في صخر المدائن
يا بتول
وزهرة النار التي يبست
جديلتها على المجرى
وأنسى مهرجان تداخل الكابوس
والرؤيا
فأعدو خلف قرص الشمس ..
مسكوناً بأقنعتي وأصواتي

وتعدو الشمس فوق عظامها ..
والأرض فوق الأرض ..
تعدو مركبات الموت والأسرى ..
وأنسى يا بتول ..
وأنت ، والكلمات عشب الروح
في رئتيَّ ..
أن سحابة الأيام ، لم تمطرْ
سوى الشكوى
وأن حقائب الأطفال فارغة
من الأعياد والحلوى ..
وأن خيانة خانت ..
تلطخ بالفجيعة مجد من عاشوا
وتجعل موت من ماتوا
بلا جدوى !

ـ ٢ ـ

ويولد ألف جيل بعدنا ..
ويجيء عشاق السنين الآتيات
ـ الأرض أعشبت الذين مضوا
وتعشبكم ..

فطوبى للحياة
على قساوة قلبها الحجري
طوبى للحياة
عذاب هذا العصر كان غناءنا
كنا نغني للعذاب
لأن صخرة حزننا
كانت تسد طريق من صنعوا العذاب
وتطحن الضحكات

في طاحونة الذكرى
فلا تنسوا وغنوا
وليكن قمر العذاب
مدار أغنية المغني !

- ٣ -

أية الكلمات أنقى ! ؟
يا بحار الفضة البيضاء
هذي الليلة ، الديدان تنمو
في عناقيد الكروم ..
وفي ينابيع الحديقة تستحم ..
وتثقب الأفواه باسم الشعب ..
وهي تشيح مغضية ..
بأوجهها المكعبة ، المثلثة
المرايا ..

ثم تغفو تحت قوس النصر ..
هذي الليلة ، القطط البغايا
والطواويس العتيقه ..
تسكن الشرفات
والقرباء يرتحلون
في مطر المنافي والمهاجر
يا بتول ..
وأنت والكلمات
شوق الكون في عينيَّ ..
يا شوق المسافات البعيدة
للمسافات البعيدة
والمسافر للمسافر !

— ٤ —

أية الكلمات ؟!
ان حبيبتي تصغي
وعاصفة تخبىء في صناديق الغيوم
ثيابها ..
لتجيء مسرعة ..؟
– لماذا يبطىء الإيقاع ؟
تعروه الرتابة ، والزمان يموت ..
خنجر سارقي الأكفان والثورات
مصلوب على عنقي ..
أنا الطاعون في دمهم ..
ولكني سأصرخ في جماجمهم ..
– أعيدوا العزف !

ايقاعٌ أشد توتُّراً
وأنامل أغنى ..
أعيدوا العزف ..
تتحد العيون صبابةً وسنا ..
ويمتد المدى
وتفيض أنهار الجمال
وتورق الألفاظ بالمعنى
أعيدوا العزف
ان حبيبتي تصغي ..
وبي نهرٌ سماويٌّ
من الأشواق لا يفنى !

فرحي
طفل
إلهي!

— ١ —

البحيرات وراء الجبل الواقف
بين الغيم والشمس ..
البحيرات خلودي ورفاتي
البحيرات صلاتي
وعذاباتي
سآتي
فرحي طفل إلهيّ على نهر
ذراعيك ..

وحزني قمر يسقط في
طاحونة العتمة ..
حزني الأرض والذكرى ..
المناقير التي تنغرس الليلة
في لحم السموات ..
ولحم الأمة المصلوبة الملقاة
في السفح ..

سآتي ..
أنا والحب ..
تسلقنا التضاريس طويلا
وهبطنا درج الموت طويلا
فلنغنِّ الآن الحب
سآتي !

— ٢ —

مطرٌ أخضر عيناك
أكان الأفق الممطر عيناك .
أم الأفق ؟
(اختبأنا فيهما ..
كان الأسى يمطر في الخارج ..
كان الصحو في دارتنا
والوجد والشوق)
زهور وسنابل
ومرايا ومشاعل
وأنا بينهما الغربة واللقيا
أنا الحالم والرؤيا
سأستغرق ..

أستغرق ..
ناء أنا إلا عنك
لا يحملني إلا الى ساحل أيامك
موج الزمن الآتي
وريح القدر الآتي
وطير الأفق الآتي

– ٣ –

سأستغرق
لا جلجلة الحلبه
لا مذبحة اللاعب بالسيف وبالحربة
لا أردية المجد الترابي
ولا أقنعة الرهبه ..
لا رقصة أحفاد المماليك

على نارهم الرطبه
لارجع نواقيس المرابين ..
وأنفاس المخانيث المغنين
ولكن صوتك الساطع
مثل الشمس في شعري
ومثل الله والانسان ..
والشيطان
في ذاتي !

أعرف
انك
كنت ستأتين

— ١ —

أن أُحبكِ
كانت عيون من الدم تسطع
في الساحة النبويه
أن تنبت الزهرة المستحيلة ثانيه
في صحارى الحرائق والملح ..
أن تولدي أنت
لا .. ليس غيرك
أن تولدي أنت فيَّ ..
وأولد فيك ..

ارتعاشة راعٍ ، يقرّب قربانه للإله
سكون شهيد ، يسير الى الشمس ..
متشحاً في دماه ..
وفي موج عينيك أنت
اغتسلت أنا ..
واختبأتُ أنا
وانهمرت مع الثلج ، والطير ، والفقراء
ركضت برايتهم ..
كانت الأرض خلفي ..
وكان مدار الفصول ..
اشتعلت صفوفاً من الشمع ..
في الردهات .. وفي عتبات الذهول
انتظرتك أنت ..

وعيناي شوك السياج ، فلم تأتي ..
ثم انتظرتك أنت ..
وقلبي عطر الحقول ، فلم تأتي ..
ثم انتظرت ..
ستأتين ..
أعرف أنك كنت ستأتين ..
ثم أتيت .. تباركت ..
وليتبارك بهاء الحقيقة فيك ..
لكم كنت أرقب فجرك .. أحلم
أن سوف ألقاك ..
واخجلتا كيف ألقاك ؟
والثلج تحت جفون المدينة
والطير عبر قطار العواصف

والغرباء ..

– ٢ –

أن أُحبك ..
في زمن الموت والشوق ..
كانت ضفائرهم تتلوى ، وتمتد
حول قبور المدينة
والقائد الأموي يقلب عينيه في الغيم ..
والشاعر الأموي يقلب ساقيه في القيد
والساحر الأموي يقلب كفيه في الرمل
ممطرة يا سموات ..
والأرض غارقة في المجاعة ..
دانية يا مواسم ..
والخيل توحل في جثث الخيل

— ٣ —

كان طفل النهار يموت
وطفل الظلام يخط على صدر
من أرضعته سطور الرضاعه
كان وجه الجمال يغيب
وفي حائط الأفق المتحدر
يسطع وجه البشاعه

— ٤ —

أن أحبك ..
موغلة في جبال الظهيرة أنت
وفي شجر الليل ..
قلبي عليك ، الظهيرة والليل ..
أنت أعتناق الظهيرة والليل

— ٥ —

أن أُحبك ..

يكبر مجدك أنت ..

ويكبر فوق زمان الفجيعة حبي !

أن أحبك وحدك ..

ألمح أشباحهم في رماد القناديل

يا من هي الفرح المتوهج

فوق رماد القناديل

والغابة الشفقية قلبي !

إيقاعات
على
طبل شرقي!

(الى الشاعر أمين نخله)

شاهداً تومىء مهموماً ، إلى أقنعة العصر ..
وتستغرق في موج الوجوه الغائمات
تلثم الأرض ، التي تنزف أبطالا
وتستصرخك الشمس ..
التي تركض عبر الظلمات ..
فتُغني عاشقاً وحدك ..
مغسولاً بأمطار الدجى وحدك ..
مخضراً باشواق الحياة ..

عربيّ الدم والراية ..
كفّاك على الجرح ..
وعيناك دموع وصلاة !

★ ★ ★

شاهداً ترنو إلى المأساة ..
أنت الشاهد المنصوب
في ليل الخيانات
وإعصار الهزيمه
جسّدت أغنية الصمت ،
التي غنّيتهـــا
ساعة تتويج الجريمه
ان جرح الوطن المحتل في القلب ..
وأن الكلمات ..

غرقت في الدم ..
ثم اختنقت تحت ركام الذكريات
ونمتْ أعشاب من خانوا
وصارتْ شجرا ..
يمتد عبر الطرقات
أيها الشيخ المغني ..
وأنا في ظل تاريخك أختال
وفي ضوء معانيك أغني ..
الغريبان هنا نحن ..
أنا القادم في عاصفة الرعد ..
وأنت القمر النائم
في حضن سحابه
أترى كم باعدت ما بيننا الأرض

فنحن اثنان في الأرض
سؤال وإجابه
أترى يا شيخ لبنان المغني ..
وقفتي بين يديك
غارقاً في مقلتي لبنان ..
ذي الوجه السماوي
وإطباقة أجفان المحبين عليك

★ ★ ★

لتكن فرحة جيل
سكنت أيامه شمس الكآبه
لتكن إيماءة العشق ..
وإيقاع الصبابه
لتكن أنت ، هو الدهشة فينا

والغرابه

أيها الناظر من نافذة الغيم

الى الأرض

لقد أصبحت الأرض التي تعرف

غابـــه

والحبيبات اللواتي ..

أسكرتهن عطاياك

فأغضين لديك

وتعلَّمن الهوى من شفتيك

وتألَّقن وجوها كالمرايا

وتبادلن أغانيك عطوراً وهدايا

لم يزل شعرك فيهن

وما زلن صبايا

يتعشقن لياليك
ولكن بلاداً ..
يرضع المحتل في أثدائها
كل أهليها عبيد وسبايا

صلوا ...
على الجلاد
والضحيه !

الزمن المسكون بالجنون والثورة ..
يغدو طوطما مقدساً
تحت رماد الزمن القديم
وفي عروش العمات
تهجع الزلازل
حاضنةً صغارها
والقمر التحوّلات

القمر الثاكل
يطل فوق رقدة الموتى الالهين
يا من لا أسميك ..
أُسمي أوجها مجهولة
تسطع في عذابها العظيم
وأوجها مقهورة ..
تنبت في حدائق الموت
أُسمي نجمة تائهة
وقلعة مهجورة ..
وشبحا ملثما
ورقما ..
يدخل بوابات مجد الصمت ..
لا يرجع في المجد ..

ولا يرجع في الصمت ..
أُسمى البطل الغارق
في مركبة اللهيب
البطل العاشق في
عاصفة الدماء
البطل الشاهق
عبر صحراء الثلج ..
والراية فوق الجفن ..
والخطوة بين العجز والاراده
ولا أُسميك ..
اسمي غضب الثورة
ليس طرب القياده
ولا أُسميك
الجنازات تسميك

المجاعات تُسميك
المخاضات تُسميك
وتبقى رقدة الموتى الالهين
من بعدك ..
تبقى شارة الطين ..
وأعراس الضحايا
آه .. يا منزلق التاريخ ..
يا بهو المرايا
اشتعلت حرب النياشين ..
وأبطال النهايات ..
وأرحام البغايا
اشتعلت سوق الفضائح
اشتعلت نار المراثي والمدائح !

★ ★ ★

تحت ظلال سحب الشتاء
جاء الفيء
عبر احتراق شجر الدماء
غاب الفيء
وصار كل شيء
عذاب كل شيء !

★ ★ ★

وقالت الضحى
صلوا على الجلاد والضحيه
وقالت الحريه
صلوا على الانسان والحريه
وقالت القضيه

صلوا على الخائن والقضيه !

★ ★ ★

أيتها الأسماء
لو طالت لحى الأطفال والنساء
لن تطول أيامك من بعد ..
ولو أمطرت السماء
أقنعة ..
وحُللاً بيضاء
فسوف تخضوضر روح الخلق
في الأشياء
وسوف لن تختلط الوجوه
والأسماء

محادثة عاطفيه داخل زمن الحصار!

\- ١ -

.. وإن رقصت سلحفاة البحار القديمة
حولي ..
وداست حوافرها خبز مائدتي ..
ونما شجر الشوك فوق عيوني ..
وإن سكنوا نجمة في رحيلي
وإن رحلوا قلعة في سكوني
وإن قتلوني ..

فمن أجل حبك أنت ..
وإن عذبوني ..
وإن ألصقوا ظل أيامهم
في جبيني !

ـ ٢ ـ

أتخشين !
قلت ، وصوتك ينقشني
ويرضعني من وراء الحدود
وقلبك يحلم ..
مثل البحيرة ، مخضرة الظل ..
تحلم ..
ثم صَحَتْ ..
فإذا الريح والرعد ..

ـ قد يقتلونك
هم أبداً يرهبون الحقيقة والشعر ..
لو قتلوك
سأضفر شعريَ مشنقة
وأُزين أكليل عرسي
الى ملك الموت ..
هل أنت سيد عرسي ؟
أم ملك الموت ..
.. وانهارت الطفلة المريمية باكية ..
وتجسدت الروح روحين
يا نعمة الحب
صوت أنا ..
ودم عاشق لك ..

هل تسمعين ندائي ؟!
.. وأشعلت عينيَّ ، ساريتين
من الشوق
تخترقان سموات كل المدائن
والطرقات البعيدة
.. لن ينزعوا شارة الحب
إلا ملطَّخة بدمائي ..
ولن يقتلوني ..
إذا قتلوني ..
وها آنذا عبر كل مدائنهم ..
ومحيطاتهم ..
وذراعاي نحوك ، تنهمران
حنيناً وشكوى ..

وفوق نوافذ بيروت علقت
قلبي رداءً يبلله الدمع ..

-٣-

يا نعمة الحب ..
في زمن السفن الحجرية ..
والسحب الحجرية ..
يحدث أن تصبح الأرض أرضين ..
أرض الترحل فيك
وأرض الرحيل إليك ..
وفي زمن الراية الحجرية ..
والنجمة الحجرية ..
يحدث ان تلد الكلمات
المشانق ..

والضحكات

الحرائق ..

ويحدث أن تصبح الذكريات

أصابع كفٍّ ، تضيء قليلاً

وتغرق في الدَّم والظلمات

— ٤ —

ويحدث أن يلتقي اثنان ..

وجهي ووجهك

في وهج البندقيه

وأن يصبح اثنان

حبي وحبك

بعض شهود القضية ؟

معيتيقه
والله ..
وقاتلوها ..!

[اسمها معيتيقه .. مجرد راعية
صغيرة ، لا علاقة لها ، بكل ما يحدث
هناك . هكذا كانت ..
وذات يوم قبل عام ١٩٦٩ ،
خرجت بأغنامها ، على مقربة من
القاعدة الامريكية ، غير أنها لم تعد
قط . فقد مزقت جسدها الصغير ،
قنابل قوات الاحتلال التي كانت
تقوم بإحدى مناوراتها الحربيه ..

معيتيقه لم تكن لها
قضية ..
انها هي القضيه !]

— ١ —

معيتيقه
أأنت هي التي اشتعلت
ضفائر شعرها في الحلم ..
تحت صواعق الخيل الغريبة ..
يا معيتيقه !
أكانت نفس أسوار الخرائب ؟
والمناقير الطويلة ..
والطواحين البدائية ؟
وكان النهر ، نهر الحزن ..

تغتسل القوافل فيه ..
ثم تدور أقماراً محطمة ..
وأشجاراً نحاسيه ..
وكان السهل أخضر يا معيتيقه
وكنت بريئة العينين والشفتين ..
.. شوق النهر في عيني معيتيقه
.. وعشب السهل في شفتي معيتيقه ..
- ستغدو نخلة ذهبية
في موسم الأمطار
وترقص بين أجفان العذارى
زهرة من نار
وسوف تغار
كل جميلة الساقين

من ساقي معيتيقه !

-٢-

وكان السهل أخضر
والغيوم الخضر ، تحلم أن طفل الفجر
يرقد في معاطفها الأنيقة
والطيور الشاخصات من العرائش
تشرئب ، وتنقر الأضواء
ما أبهى معيتيقه
مرصعة بضحكتها الطفوليه
وما أحلى معيتيقه
تعلق شالها القمحي
فوق نوافذ الأشجار
ثم تطير في آفاق رحلتها الربيعيه

\- ٣ -

وجاء نهار

وجاءوا ينصبون خيامهم

في السهل

فارتعشت معيتيقه

قليلاً .. ثم أغضت

ثم لم تغضب ..

فإن الأرض أرض الله

وقالت للشويهات التي أبدت

تعجبها ..

هنالك خلف تلك التلة

الغربية الجرداء

مرعىً مُعْشِبٌ آخر

- لماذا يا معيتيقه

يجيء القادمون ، وينصبون خيامهم ..
في سهلنا ، ونهدّ خيمتنا ..

ونرحل

كلما جاءوا ..

- لأن العشب عشب الله

- ونوغل في المجاعات الجديدة ..

كلما ارتفعت مشاعلهم ..

لماذا يا معيتيقه ؟

- لأن الفعل فعل الله

- وإن عادوا إلينا مرة أخرى ..

أنرحل يا معيتيقه ؟

- سترتحل النجوم وراءنا

وتظل تمطرنا سماء الله

– ٤ –

وكان السهل أخضر
والسماء هي السماء
وكنت فاتحة اليدين
– تجاوزي ما شئت ..
لن تتجاوزي فرح السنابل
واحلمي بالشمس ..
راقدة على سرر الرمال البيض ..
والإعصار فاجعة تقهقه ..
فوق أطلال المدائن والسواحل

وكان نهار

والأحجار

وأعشاب البحار ، ومركبات

الرعد والأمطار

وغاصت شعلة من نار

في رئتي معيتيقه

— ٥ —

لماذا يا معيتيقه

حلمت بأن قمحك بعثرته الريح ..

ثم ركضت خلف القمح باكية ..

وخلف الريح

ثم سَقَطْتِ ..

فاجتاحتك جلجلة الطواحين

لماذا يا معيتيقه !
حلمت بأن أرجل خيلهم ،
خطفتك ..
واغتصبتك في الطين !
لماذا يا معيتيقه !
حلمت بأن قبعة الغراب
تمددت ، وغدت سموات
وآلهة
تدوس على المساكين !

— ٦ —

معيتيقه
لقد زحفت قنابلهم ..
ودباباتهم ، وجيوشهم

يوماً عليك ..

وكنت فاتحة اليدين ..

وحينما دفنوك تحت ركامهم

وجدوك نائمة ..

وثمة وردةٌ حمراء

نابعة من الشفتين !

أحلف باسمك أنت

— ١ —

.. وتنمو على جبل الذكريات . خطى العاشقين
وينمو الحنين
وينتزع الليل ذو القبعات العريضة
أقنعتي ..
فإذا أنت في جسدي تولدين
وفي جسد الليل ..
أيتها الغابة المستحمة بالعبق الآلهي ..
المغطاة بالصيف والأمسيات ..
التي نسِيت عُرْيها تحت مروحة
الشمس ..

عشب الفصول أنا ..
أبداً أتمدّد في العشب والماء ..
أغرق في شهقة الحلم ..
أوغل في وجع النهر ..
أركض في صلوات النواقيس ..
أرحل ما زلت منذ افترقنا إليك
وأرحل في الحب والشعر ..
كيف ملوك العصافير ، فوق
العروش البعيدة من بعدنا ؟
وارتجاف المشاعل في الغرف
الجبلية ..
والأوجه القدسية خلف
زجاج المزارات ..
والنبع من بعدنا ..

والعرائش والسهل ..
أحلف بالحب ، أنك
وحدك كنت ..
وما زلتِ وحدك
كانت دموعي صلاة السجين
إليك ..
وكان انطباق ذهولي عليك ..

— ٢ —

وحين أتوا..
كنتِ ما بين أصواتهم وبنادقهم
تقفين ..
محدقة في فراغ المساحات
ثم تغيم عيون المغني
فترتجفين ..

وكانت جميع المرايا محطَّمةً ..
غير أني رنوتُ اليك ..
– أعفري للالـه الحجر
انه مدَّ راحته باكيا ..
وأنتظر .
اغفري للالـه السجين
أنه احتضن القيد ..
ثم مضى في سكون !

– ٣ –

وحين مضوا بـي ..
وأحلف ، بالحب ، انك كنت معي ..
قالت الأرض ، والنار ، والريح ، لي
– ستغادرنا .. وبكت
قلت إني أغادرها وحدها ..

وبكيت

وأبصرت وجهك مرتجفاً ..

يتألق في شجر الدمع ..

كانت هناك يدٌ .. نجمةٌ ..

وجهُ طفلٍ ..

شراعُ سفينٍ تغيب بعيداً ..

وغبت بعيداً ..

وراء ابيضاض الشراع .. إلى أين ؟

كانت هناك الأيادي الغريبة

والبسمات الغريبة

والكلمات الغريبة ..

والطير يهبط فوق النواقيس ..

والساحة الرَّهْبةُ ..

انطفأتْ بالكآبة

واشتعلتْ بالحنين

وقلتُ : أعود ..

ولكنهم أخذوني بعيداً ..

– أقول لكم ، لو عرفتم ؟

ولكنكم في غد تعرفون ؟

غداً تعرفون ؟

وأحلف بالحب ..

أحلف باسمك أنت ..

وأُوقد في العتبات الرخامية

الصمت ..

مليون شمعهْ !

وفي الردهات المهيبة

مليون شمعهْ

وفي الحجرات الغريقة في النور
مليون شمعه
لقد سمّروا شفتي في دفاترهم
فتسمّرت صمتاً
وظل اسمك النجم ..
يسطع فوق مداري الحزين
وفوق ظلام الدفاتر
وقد صادروا فرحتي ..
فتجهّمت حزناً
وما فتشت فرحة الحب ..
أقوى المشاعر
وأحلف بالحبِّ ..
أحلف باسمك أنت

الانتظار !

غارقاً في اخضرارِكَ ..
مُرتحلاً في صهيل خيول الزمان
وموج بحار الضجرْ ..
خِنجراً كان صمتك .. أم نجمةً ..
أم حجر ..
أيها الصامتُ المنتظر
لست وحدك من تنتظر !

★ ★ ★

حيث يبرقُ في عتمة الدرب
وجهٌ قديم
ويتلو شهادته الأبدية في
دورة النار وجهٌ جديد
هنالك من ينتظر

★ ★ ★

حيث يهترىء القيد في قدمين
تغوصان في جسد العاصفه
وينسدل الظلُّ في مقلتين
تضيئان في غسق العاصِفَه
هنالك من ينتظر

★ ★ ★

حيث تغسل جمجمةٌ مجدها بالدماء

وتغسل جمجمةٌ حزنها بالبكاء
هنالك من ينتظر

★ ★ ★

حيث تعدو المجاعه ، حاملةً
بيرق النصر ، عاريةً
في الشوارع
وتشيب الزهور ..
وتغفو على صور الذكريات
الأصابع
ويغني الأسى في المضاجع
هنالك من ينتظر

★ ★ ★

ثورة كان صمتك
أم لعنة ، أم قدر
لست وحدك من تنتظر

★★★

قالت امرأة في المدينة :
– أعرفه ..
كان بدء انهمار الفصول الحزينه
.. ثم تدفق فينا شتاء الجراد
ثم غامتْ ..
وقالت رصيفتها ، وهي
تسحب خصلتها القمرية فوق
جبال الرماد
– لم يعُدْ منه إلا شبحْ

يحصد المستحيلا
والأسى كالفرح
لا يدوم طويلا

★ ★ ★

وأضاء الصهيل ، وجوه الخيول
التي سكنت في حظائرها ..
فأضاءت قليلاً ..

★ ★ ★

كيف جاء ؟
وما للمدينة مطرقةٌ ؟
كيف أطرق كل رجال المدينة ؟
كل نساء المدينة ؟
كل الذين يقولون للقهر .. لا

ولصوت الهزيمة .. لا

ولريح الخيانة .. لا

والذين يجيئون ..

في وجع الأرض جيلاً فجيلا !

دمشق ...
وعاشق
الأميرة الجبلية

.. ودمشق خيمة عاشق متغرب مثلي
تعيش الشمس تحت جفونه
وتضيء في فمه
وراية قاسيون ، وسيفه العربي يبرق في السماء
كأنه قمر اللهيب
كأنه سيف السماء

★★★

دمشق يا حزني
وأنت مدينة الفرح التي أغفو على أسوارها
وأغوص في أحشائها أرضاً وأزمنة
وتصلبني طوابير الطغاة على مداخلها
وينبت في خرائب عصرهم وجهي وايامي

★ ★ ★

دمشق وأنت .
لم تكن السماء عباءة منقوشة بالعاج والياقوت
كانت ثمة السُّحُبُ القديمة
والطلاسم في تعاريج المرافىء .
والرجال السود يحتضرون حول الكعبة السوداء
والصور التي تنهار فوق قواعد الصلبان
ثم أضاء برقك في الصخور

ففجّرتْ ألوانها ، وامتدت الرؤيا على زمني
وعينيَّ المهاجرتين
اني كلمةٌ وحدي
وتلك حجارة التاريخ
والطير المحنط في المعاطف
والبغايا العاقرات ، وغابة الشعراء

★ ★ ★

هذي ليلة القمر الذي صلبوه
(كانوا يعبدون ضياءه
حتى إذا اصطف الرماة جميعهم
وانهل نبع جراحه صلبوه)
ساعتها استحال الموج أعمدة من الكبريت ...

– يا قمري يموت الضوء في شجر النهار
ويصبح البستان مزدهراً
وتزهر فيه ثانية ... واولد فيك ...

★ ★ ★

هذه ليلة الطفل المقدس
(من سيذكره ويبكي) كل مرضعة سقته دماءها
خلعت مخالبها الأنيقة فجأة
ورمت بها في مقلتيه
– أقول يا طفلي المقدس :
فوق تاج الحب ، تاج الشعر
اخلعه على دنياك مبتهلاً ...
واحلم انني ارضيك .

واشتاقتلك أيامي . . .
وما زالت دمشق تمد خيمتها
ووجه العاشق المأخوذ يسألها وتسأله . . .

* * *

وعبر توهج الرؤيا
وعبر تدفق النظرات
قصر أميرة جبلية
تختار تحت الشمس مقعدها
وتسكب عطرها في روح عاشقها
وتشعل شمعة في القلب ،
ثم تعود حيث تنام في عينيه كل مساء .

فهرس

صفحة

مقدمة ٥

أقوال شاهد واثبات

اقوال شاهد اثبات ٦٣
الى .. عبد الخالق محجوب ٦٩
أغني وأكتب مرتين ٧٩
رحلة في عيون بلادي ٨٥
الارض لم تسقط ٩١
الى .. غسان كنفاني ١٠١
طرباي كتب اسمه ورحل ١٠٩
حوار قديم .. عن الف ليلة وليلة ١١٩
فليبق وجهك مشتعلا بالجمال ١٢٧
الوصايا القديمة ١٣٥
ليس الا الرحيل ١٤٣
سأصلي له زمنا ١٥٣
الشاعر المعاصر والجمهور ١٥٧

احزان افريقيا
« سولارا » مسرحية

الفصل الاول ١٧٧
الفصل الثاني ٢١٣
الفصل الثالث ٢٤٧

ثورة عمر المختار

كلمات قليلة عن المسرح والمسرحية ٢٩١
شخصيات المسرحية ٢٩٥
الفصل الاول ٣٠٣
الفصل الثاني ٤٣٣
الفصل الثالث ٣٧٥

ابتسمي حتى تمر الخيل

الاهــداء ٤١٥
ابتسمي حتى تمر الخيل ٤١٧
البطل يعبر الى المعشوقة ٤٢٤
ايقاعات قبل مارش النصر ..! ٤٣١
قراءة في عيون يغسلها الدمع ! ٤٣٨
الطفل والشمس ٤٤٤
عذاب هذا العصر ٤٥٠
فرحي طفل إلهي ٤٥٧
أعرف انك كنت ستأتين ٤٦٢
ايقاعات على طبل شرقي ٤٦٨
صلوا ... على الجلاد والضحية ! ٤٧٤
كارثة عاطفية داخل زمن الحصار ! ٤٨٠
معيتيقية والله قاتلوها ...! ٤٨٦
احلف باسمك أنت ٤٩٦
الانتظــار ! ٥٠٣
دمشق .. وعاشق الاميرة الجبلية ٥٠٩